الباب السابع

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المبحث الأول

القدس في عهد الاحتلال البريطاني1917م – 1947 م

وصلت الأوضاع في نهاية العهد التركيُ إلى مرحلةٍ لا تطاق على جميع الصعد، فالدولة العثمانية قد ناوشتها أطماع الغرب والشرق، واصطلح المؤرخون على تسميتها في هذه الفترة بالرجل المريض، فأصبحت أملاكها بانتظار نهب الدول الاستعمارية، ودب الفساد الإداري والمالي والاقتصادي في جسم هذه الدولة المترامية الأطراف، ومما زاد الطين بله، أن الإنجليز عقدوا الاتفاقيات مع الشريف حسين شريف مكة، وأوهموه بأنهم سيخلصون له إذا ما وقف بجانبهم ضد الأتراك، ولم يكن موقفه هذا طمعاً في ملك أو زعامة بل أنه كان يرى في تحرير الأمة العربية من الأتراك فرصة له، بحيث تسلط عدد من قادة الأتراك على العرب، وقتلوا وشنقوا منهم العديد، فتنادى العرب إلى التحرر من الأتراك، فكان هذا من الأسباب الرئيسة التي ساهمت في إنهاء الحكم التركي عن أرض العرب.

بيد أن سوء النوايا التي كانت لدى الإنجليز، فقد بدأوا إرضاء العرب أولاً، لوقوفهم بجانبهم ضد الأتراك ووعدوهم بالحرية، لكن جميع هذه الوعود ذهبت أدراج الرياح، وذابت على بحر من الجليد، فتمخض عن هذا الموقف ذلك الجشع الاستعماري الذي تكشّف فيما بعد عن أمرين هامين ألا وهما:

أولا: اتفاقية (سيكس بيكو) التي قسّمت الوطن العربي بين بريطانيا وفرنسا.

ثانيا: و عد بلفور الذي منح ليهود الحق لمن ليس له حق في فلسطين.

نشبت الحرب العالمية الأولى عام 1914م، ووقف الإنجليز وأعداؤهم الألمان وجها لوجه، ورأى الأتراك من مصلحتهم أن يقفوا مع الألمان، ضد الإنجليز، ووضعوا نصب أعينهم وبإيعاز من حلفائهم الألمان مصر،لا يقصدون احتلالها، إنما يقصدون شغل الإنجليز المرابطين فيها، فضلا عن أنهم كانوا يعتقدون أن المصريين لا بد وأن يثوروا على الإنجليز بمجرد اقتراب الكتائب التركية من قناة السويس، فتعرقل بثورتهم وبمرابطة الأتراك على قناة السويس وسائط النقل بين بريطانيا والهند، حشد الأتراك ثلاث فرق لمهاجمة الإنجليز في منطقة قناة السويس، بيد أنهم خسروا المعركة في حملتين، حيث أصبحوا في موضع المدافع بعدما كانوا في موضع المهاجم.

استعد الإنجليز لمهاجمة الأتراك فهيئوا حوالي سبعين ألف جندي لهذه المعركة بقيادة القائد السير أرشيبالد موتي sir Archibald Murray فقام هذا القائد بمد سكة حديد وأنابيب مياه في الصحراء،

وتحصن كل فريق في موقعه، حيث أصبح الإنجليز في العريش، والأتراك في غزة وحدث الصدام بينهما فقتل من الجانبين العدد الكثير، وقام الإنجليز بتغيير خطتهم وعينوا قائداً جديداً للجيوش البريطانية بدل القائد السابق ألا وهو القائد السير أدموند اللنبي، الذي استطاع بحنكته أن يعيد تنظيم صفوفه من جديد، وحصل على مدد أكثر من الجند بحيث أصبحوا ما يقارب المائة ألف جندي مزودين بأحدث الأسلحة.

عندما أدرك الأتراك خطورة الوضع،عقد القادة الميدانيون اجتماعاً في حلب، لاتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الخطر القادم، فحشدوا فرقا جديدة إلى هذه المعركة.

لم تكن موازين القوى متكافئة في هذه المعركة، بحيث أن الأعداد الكبيرة والتسليح الحديث من جانب دول الحلفاء كان يفوق الجانب التركي الذي فقد الكثير من جنده، بسبب الأمراض وقلة التموين من ناحية، وسريان خبر ثورة الشريف حسين في مكة بين صفوف الجيش التركي، الذي كان فيه أعداد من العرب الذين تسرب إليهم نبأ هذه الثورة، فأخذوا يتمردون على الجيش التركي وينضمون إلى الجيش البريطاني، أو إلى الجيش الذي كان يقوده الأمير فيصل بن الحسين، وكان أبوه الشريف حسين بن علي شريف مكة، قد أعلن الثورة على الترك.

المطلب الأول: الغزاة على مشارف القدس

كان اللورد أللنبي قد أتم استعداده، وحشد جيشه فأمر بالزحف على القدس، فاستولى بادي ذي بدء، على بئر السبع في 13 تشرين أولت 1917م، ثم على غزة في 7 تشرين ثاني 1917م والرملة ويافا في 16 تشرين ثاني 1917م ومن الرملة سار في الطريق نفسها التي سلكها قبلة، الآشوريون والرومان والصليبيون نحو الجبال في طريق وعرة المسالك، فسارت بعض كتائبه على طريق اللطرون، باب الواد في اتجاه سريس وقرية العنب. والبعض الآخر على طريق اللطرون،رام الله، في اتجاه بيت لقيا وبيت عور، وهناك كتائب أمرت بأن ترابط على طريق بئر السبع، الخليل لمجابهة الطوارئ في ذلك القطاع.

أما سريس فقد احتلها الإنجليز في 20 تشرين ثاني 1917م وكذلك قل عن قرية العنب التي دخلوها في اليوم التالي، وما هو يوم أو بعض يوم، حتى كانت إحدى الكتائب قد احتلت قرية النبي صموئيل، تلك القرية المسيطرة على قطاع القدس، بسبب ارتفاعها ومناعة موقعها، وكانت هذه القرية ما برحت حتى يومنا هذا، في نظر العسكريين بمثابة مفتاح القدس، ولكن الإنجليز لم يستطيعوا أن يتقدموا بعد ذلك شبراً واحداً، بسب عناد الأتراك في هذا القطاع، وتغلبهم على فرقة من فرسان الإنجليز كانت تحاول شق طريقها نحو بيتونيا، وقد ارتدت هذه الفرقة إلى بيت عور الفوقا، ثم عادت وارتدت هي والفرق الأخرى إلى الوراء، غير أن الإنجليز غيروا خطتهم فقووا كتائبهم، وارتكب الأتراك خطأً كبيراً، حيث قاموا بمهاجمة الإنجليز مما أدى إلى وقوع خسائر كبيرة بينهم، وزحف الجيش الإنجليزي

صوب القدس، واقترب منها، وتمركز في ثلاث جبهات لمهاجمتها، وصب جام مدافعه عليها من الجنوب والغرب والشمال، فأيقن الأتراك أن القدس ساقطة بأيدي الأعداء، لا محالة، وأنهم خسروا المعركة.

عندئذ استدعى عزة بك المتصرف التركي أعيان القدس ووجوهها، فأخبرهم بحقيقة الأمر وحملهم الرسالة التالية. "منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة، فالحكومة العثمانية محافظة على الأماكن المقدسة الدينية من الخراب، قد سحبت عساكرها من المدينة، وأقامت موظفين ليحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة، والمسجد الأقصى المبارك، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم أيضاً على هذا الوجه، فإني أبعث بهذه الورقة مع حسين بك الحسيني رئيس بلدية القدس بالوكالة سيدي 8/ 12/ 333.

المطلب الثاني: وعد بلفور

وفي كانون الأول 1916م عندما تولى لويد جورج رئاسة الوزراء وآرثر بلفور وزارة الخارجية، وكانا من الصهاينة البارزين، اعتبرت الاجتماعات غير الرسمية بين الصهاينة وبين المسئولين البريطانيين بمثابة مفاوضات جدية أدت بالنتيجة إلى التزام بريطانيا بتحقيق حلم الصهيونية، في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وقد عجل في إعلان السياسة البريطانية بشان فلسطين حدثان

1. دخول أميركا الحرب في نيسان سنة 1917م.
2. إقبال الشبان اليهود في روسيا إثر ثورة شباط الروسية 1917م على الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي (البلشفي) بقيادة لينين، الذي وقف ضد استمرار روسيا في الحرب مما دفع الجنرال ماكدونف قائد المخابرات البريطانية، إلى طلب الإسراع في إعلان فلسطين وطناً قومياً لليهود، لكي يتجه الشباب اليهودي نحو العقيدة الصهيونية الرجعية الموالية للاستعمار عوضاً عن الانخراط في الأحزاب الثورية المعادية لبريطانيا، وقد تضمنت شهادة الزواج غير المقدس بين بريطانيا والصهيونية صيغة رسالة بعث بها آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية، إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف،رسالة فيما يلي نصها:

"إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يسمح بأي إجراء

يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية، القائمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى[1]"

ويعتبر وعد بلفور من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ، إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لا تملكها (فلسطين) إلى جماعة لا تستحقها (الصهاينة) على حساب من يملكها ويستحقها (الشعب العربي الفلسطيني)، مما أدى إلى اغتصاب وطن، وتشريد شعب بكاملة على نحو لا سابق له في التاريخ، ومما يسترعي الانتباه أن بريطانيا أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تصل جيوشها إلى القدس، بل في الوقت الذي كانت تتقدم فيه الجيوش بفضل مساعدة "حلفائها" العرب وبفضل تضحيات شعب فلسطين الذي كان يناضل في سبيل الحرية والاستقلال. [2]

كان رد فعل العرب على وعد بلفور عنيفا، حيث كتب الكولونيل ديديس الذي كان تابعا للبعثة العسكرية المصرية تقريراً قال فيه "إن نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين جديد على القدس. وقد أحدث قدراً غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني أنها تحاول مقابلتي، وفي غضون الأسبوع نفسه، رفع ديديس تقريراً يصف فيه توتر العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين نتيجة للتصريح، وقال إن المستعمرين اليهود يعلنون عن رغبتهم بأن يصبحوا في حالة اكتفاء ذاتي دون حاجة إلى اليد العاملة العربية، ويلاحظ كذلك من حين لآخر ظهور بالعداء للعرب يبادلهم هؤلاء مثله.[3]

زاد هذا الشعور في الآونة الأخيرة حّدة، كما هو معلوم بسبب إعلان وعد بلفور، هذا الوعد قد واجه معارضة من أهل البلاد على السواء مسيحيين ومسلمين.

للقدس أهمية خاصة في الميزان الاستراتيجي ومعركة فاصلة بين المتحاربين، فقد تبع الإنجليز الجيوش التركية حتى ضواحي مدينة القدس، فانسحب الأتراك من مواقعهم، وتوجه قسم منهم شمالاً صوب نابلس والقسم الآخر إلى جهة الشرق صوب أريحا.

كان يخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنجليز الساعة العاشرة والنصف صباح يوم الأحد 9 كانون أول سنة1917م عن طريق الشيخ بدر الكائن في الجهة الغربية للمدينة، ونصبوا عموداً في هذا الموقع تحيط به حديقة، وقد كتب على هذا العمود، اسم القائد أللنبي، وتاريخ دخول الإنجليز القدس.

---

(1) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية،عمان، دار الجيل للنشر والتوزيع والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1986م،ص 49.

(2) ألكيالي، عبد الوهاب،تاريخ فلسطين الحديث، ط1، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص83.

(3) الدباغ، المصدر نفسه ص 176 .

وهكذا فقد قضي على الحكم العثماني في القدس الذي استمر أربعة قرون، ولا يعني هذا الأمر القضاء على النظام فقط، بل يعني أيضاً هدم الخلافة الإسلامية، منذ عهد الفتوحات الإسلامية،باستثناء فترة الإحتلال الصليبي للقدس التي دامت 88 عاما فقط.

المطلب الثالث: وصف دخول الإنجليز القدس على لسان فرنسيس أملي نيوتن" الإنجليزية"

" راية الاستسلام في دار السلام 9/ 12/ 1917م: في ذلك اليوم أخليت القدس، وغادرها كبار الأتراك طلبا للنجاة، وأراد رئيس البلدية التسليم، ولم يجد ما يرفعه بمثابة راية، إلا غشاوتين انتزعتا من سرير من المستشفى الطلياني، خيطتا، ورفعتا على عمود، تحمله الزنود، وقف الرئيس، ونفر حوله، وبيد فتى هذه الملاءة البيضاء، على طريق يافا، نحو ميل من المدينة، فطلع عليهم جنديان إنجليزيان بالسلاح مشهورا، أن ارفعوا الأيدي، وترجم للجنديين أسوجي يعرف الانجليزية، فأنكر كل علم بالعربية وبأمر الاستسلام والتسليم. وما آمنا أن تلك الخرقة راية أو شبه راية. ثم وصل ضابط من أركان الحرب، وهذا اخذ توقيع رئيس البلدية على شهادة وعلى خارطة، ثم دخل الجنرال وطسن، ولبث ينتظر الجنرال " شي " وكان حامل الملاءة قد اطمأن، وارتاح قلبه، فأراح زنده، فزرع عمود الراية في الجدار.

مر ضابط نبيه فانتزعها، وسلمها إلى محدثي بهذه المهزلة الجدية، أعني الترجمان الأسوجي نفسه واستحلفه بشرفه أن يصونها له، فلا يسلمها لغيره، وبعد أمد ورد الأمر من لندن بطلب الراية البيضاء لتحفظ في المتحف الحربي.

بعد أن دخل اللورد أللنبي المدينة من باب الخليل بيومين، أذاع من فوره البيان التالي على السكان وهو." إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي أقودها أدى إلى احتلال مدينتكم في الوقت الذي أذيع فيه عليكم هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه نافذة المفعول، ما دام ثمة ضرورة حربية، ولئلا ينالكم الجوع، كما نالكم على يد الأتراك، أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله، وفقا للقانون دون أن يخشى أي تدخل من أي شخص كان.

إن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال، وأود أن أحيطكم علماً بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستصان وفقا للعنعنات المرعية، وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التي تملكها "[1]

(1) مصطفى مراد الدباغ، مصدر سابق ص 175.

هذا يوم حالك في تاريخ هذه الأمة، التي رأت القدس في أيامها السالفة أبهى مراحل عزها وكرامتها منذ قرون بعيدة على يد الإسلام والمسلمين.

أهداف الوجود البريطاني

"... مما لاشك فيه أن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال بكل معاني الكلمة، فشعب فلسطين لم يطلب من بريطانيا الحضور، ولم تأتِ بريطانيا إلى المنطقة بدوافع إنسانية أو خدمة للعدالة، إن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال أجنبي للبلاد بكل قسوته وظلمه.

إن الذي اتفق مع بريطانيا هو الشريف حسين شريف مكة، فهو الذي أراد استقلال العرب عن الحكم التركي واستبداله بملكية له ولأسرته فيما بعد، وقد حصل الاتفاق مع بريطانيا عبر مراسلات ولقاءات يقوم بموجب ذلك العرب بمساندة القوات البريطانية في دحر الوجود التركي،أما مصالح بريطانيا في هذه الاتفاقية فقد كان يتعدى مضمون الحرب العالمية الأولى، فالمراسلات التي كانت بينها وبين الشريف أعطته وعوداً زائفة كانت بريطانيا تخفي وراءها أطماعاً أخرى [1]

المطلب الرابع: القدس تحت الإدارة البريطانية

دام الحكم العثماني للقدس وبقية ديار العرب مدة تربو على أربعة قرون، حيث بدأ هذا الحكم عام 1516م وانتهى عام 1917م فدخلت هذه البلاد في مرحلة جديدة من الاحتلال البغيض الذي غيّر لونه وتنكر لجميع العهود والمواثيق التي ابرمها مع الشريف حسين وقد أفرز هذا الاحتلال إتفاقية سيكس بيكو التي تم بموجبها تقسيم الوطن العربي بين فرنسا وبريطانيا، كما زاد الطين بله ذلك الوعد البغيض الذي فرضه الاحتلال البريطاني على فلسطين، ألا وهو وعد بلفور الذي منح الحق لمن ليس له الحق في امتلاك أرض فلسطين وطرد أهلها منها في بقاع الأرض.

بسط الإنجليز نفوذهم على هذه البلاد، حيث كان هناك الزواج غير الشرعي بين الصهيونية العالمية والاستعمار البريطاني على أرض فلسطين، فأخذوا يديرون هذه البلاد وفق سياستهم التي رسموها، وذلك بالضغط على سكانها العرب، وسلبهم جميع حقوقهم المدنية والشرعية لتفريغ هذه البلاد من أصحابها الشرعيين، وإعطاء اليهود جميع الامتيازات والتسهيلات، وإغداق الأموال عليهم، وفتح جميع الأبواب على مصاريعها للهجرة اليهودية وتكريس الاستيطان في فلسطين...

(1) العلمي، أحمد،الاجتياح البريطاني لفلسطين، عكا: مؤسسة الأسوار، المطبعة العربية الحديث،القدس،1998م ص 171.

كانت الإدارة العسكرية في فلسطين بشكل عام وفي القدس بشكل خاص، عبارة عن هيئة عسكرية تعمل تحت مدير عام يتلقى أوامره من القائد الأعلى اللورد (أللنبي).

خلال هذه الفترة بدأت تظهر على السطح أطماع الصهاينة ضد فلسطين بعامة والقدس بخاصة، بحيث استأثر اليهود وتحت إشراف الإنجليز بجميع المواقع الحساسة المالية والإدارية وغيرها، وقد توالى على إدارة القدس إدارتان:

obeikandl.com

المبحث الثاني

الإدارة البريطانية

المطلب الأول: الإدارة البريطانية العسكرية

تم تعيين حاكم عسكري بريطاني وهو الجنرال بيل بورتون Bill Borton وتبعه عدد من الحكام الإنجليز الذين تم تعيينهم من قبل الحكومة البريطانية حيث نهجوا جميعا نفس السياسة المعادية للشعب الفلسطيني والمتقربة من الصهيونية العالمية – حيث كان الفلسطينيون والعرب أجمع يتوقعون أنهم سيحكمون أنفسهم،وأنهم سينالون الحرية التي وعدوا بها بعد أن انضموا إلى الحلفاء ضد الأتراك، بيد أن الحلفاء قد غدروا بهم وأقاموا على هذه البلاد حكاماً منهم، واستأثروا بخيرات البلاد والعباد وراحوا يسومون الناس الهوان ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة،ويعاملونهم أسوأ معاملة

المطلب الثاني: أبناء القدس يتصدون للمؤامرة

ساد الناس شعور بعدم الرضا بتصرف الإنجليز المتعاطفين مع الصهاينة، ومن هنا بدأ الشعب العربي الفلسطيني يهيئ نفسه للثورة والعصيان ومقاومة الاحتلال البريطاني الصهيوني الجديد، الذي ما كانوا يتوقعونه، حيث كانت مقاومة الفلسطينيين لهذا الواقع الجديد على عدة أشكال منها:

أولا: رسائل الاحتجاجات.

لم يستكن الفلسطينيون بشكل عام وأهالي بيت المقدس بشكل خاص، إذ أن القدس هي مركز القيادة للشعب الفلسطيني، وأهلها هم رواد المقاومة ضد إجراءات الاحتلال التعسفية، فعندما لاحظوا ما تقوم به سلطات الاحتلال من تهويد للبلاد، وما تمنحه هذه السلطات من عهود ووعود ومواثيق للجانب اليهودي مهملة الجانب العربي، محملة هذا الجانب الأسباب والوسائل المؤدية إلى زيادة التغلغل الصهيوني.

قام المواطنون يترأسهم القادة والزعماء من أبناء هذا الشعب بكتابة العرائض والاحتجاجات، فأخذوا يمطرون الحكام الإنجليز بهذه العرائض مستنكرين فيها هذا التدخل السافر والإجراءات المؤدية إلى تهويد البلاد، فعمّ البلاد موجة من السخط والتذمر، انتقلت فيه المنطقة إلى مرحلة جديدة من المقاومة التي أفضت إلى إعلان المظاهرات العنيفة.

ثانيا: المظاهرات.

بدأت المظاهرات الصاخبة في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية، وتحولت هذه المظاهرات في بعض الأحيان إلى اضطرابات دموية، وتشكلت الجمعيات العربية في المدن الفلسطينية، وأخذت تنادي بالثورة والعصيان على الحكومة البريطانية مما أدى إلى تشكيل لجنة أمريكية بعث بها مجلس الحلفاء الأعلى لدراسة حالة السكان، فلم تشترك كل من بريطانيا وفرنسا في هذه اللجنة، لأن مبدأ الاستفتاء يتعارض مع معاهدة سيكس بيكو، بيد أن هذه اللجنة خرجت بقرارات مفادها، أن أهل البلاد مجمعون على إلغاء وعد بلفور، ورفض كل من الحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني، وطالبوا بانضمام فلسطين إلى الوحدة العربية السورية، وذا لم تتحقق لهم مطالبهم، فلتكن الدولة المنتدبة على فلسطين، أمريكا وليست بريطانيا التي منحت اليهود وعد بلفور.

تزعزعت الثقة ببريطاني المحتلة حيث ورد خبر إلى أهل البلاد مفاده، أن الحلفاء ينوون فرض الإنتداب على فلسطين، وأن الدولة المنتدبة هي بريطانيا حاضنة الصهيونية وصاحبة قرار وعد بلفور المشؤم.

اشترك في هذه المظاهرات جميع أطياف الشعب الفلسطيني مسلمين ومسيحيين رجالا ونساء وأطفالا، فهب الشعب كله هبة رجل واحد بلا استثناء، وكانت المطالب التي أعلنوها.

- رفض الانتداب البريطاني على فلسطين.
- وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- وقف بيع الأراضي وتسريبها إلى اليهود، لاسيما بعد أن تم بيع أراضي مرج بن عامر على أيدي عائلة سرسق اللبنانية المسيحية لليهود، وسريان هذا الخبر بين الأوساط الفلسطينية.

كان نتيجة هذه المظاهرات الاحتجاجية السلمية، أن وقف الجيش البريطاني في وجه المتظاهرين، ورفع السلاح في وجوههم مما أدى إلى استشهاد عدد غير قليل من أبناء الشعب الفلسطيني، وجرح الكثيرين منه وزج قسم كبير منهم في غياهب السجون.

ثالثا: الكفاح المسلح.

أخذ الفلسطينيون بسبب الخطر الصهيوني الذي يهدد كيانهم، إقامة مؤسسات اجتماعية وثقافية وسياسية في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية، ففي غضون شهر حزيران من عام 1918م تأسس النادي العربي برعاية الحاج أمين الحسيني أخي المفتي كامل، والجمعية الإسلامية، ونادي الإخاء والعفاف ومنتدى آل الدجاني وجمعية "الفدائية" والمنتدى الأدبي، وجمعية الفدائية هي هيئة فدائية سرية كانت تضم

عدداً من رجال البوليس والدرك ومن زعمائها جودة الحلبي الذي ألقى في احد الاجتماعات خطاباً، كشف فيه النقاب عن استعداد أعضاء الجمعية للعمل ضد التحالف الإنجليزي الصهيوني.

ومما تناولته نشاطات هذه الجمعيات: تسليح الأعضاء بالأسلحة الخفيفة، وبث الدعاية بين بدو شرق الأردن، وبذل الجهد لتركيز الضباط الفلسطينيين في عمان، حتى يكونوا على أهبة الاستعداد إذا أعلنت سياسة موالية للصهيونية، ثم تعليم عدد من الشبان اللغة العبرية لمتابعة ما ينشر ويقال في الصحف اليهودية، وتشرب الأطفال مبادئ الوحدة العربية، لاسيما طلاب مدرستي الرشيدية وروضة المعارف، وكرّس عدد من شبان القدس أنفسهم لبعث الحياة في اللغة والأدب العربيين.

تشكلت في القدس ويافا جمعية إسلامية مسيحية، يهدف برنامجها إلى مقاومة السيطرة اليهودية ومكافحة النفوذ اليهودي، والحيلولة بجميع الوسائل الممكنة دون شراء اليهود للأرض.

يصف (ويزمن) نشاطات المؤسسات العربية الفلسطينية في كل من القدس ويافا بقوله "كانوا يوفدون أحياناً رسلاً إلى القرى لإثارة الفلاحين ضد اليهود، وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظيم الإرهابيين والمؤسسات السرية كي تقوم فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود، وقد انخرط قسم كبير منهم في صفوف رجال البوليس حتى يسربل عليهم تنفيذ مهامهم، كما أن الكثير منهم شباب متعلمون درسوا في أوروبا وبعضهم يعرف القضية معرف تامة."[1]

واصل المقدسيون مقاومتهم للمخططات الاستعمارية الصهيونية، وذلك بالمظاهرات والاحتجاجات، وهدد المحتلون باتخاذ أقسى العقوبات بحقهم، بيد أنه لم ترهبهم هذه التهديدات، وكان نتيجة ذلك أن قامت أول تظاهرة عربية صاخبة بقيادة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس آنذاك، فقدم في نهاية المظاهرات الصاخبة احتجاجاً إلى كل من حكومتي بريطانيا وأمريكا على الإجراءات التعسفية بحق شعب فلسطين.

أدرك المحتلون خطورة الوضع، وأرادوا أن يلطفوا الأجواء، فأصدر الحاكم البريطاني في القدس وثيقة مؤرخة في 7/ 11/ 1918م وزعت على الجمعيات الإسلامية والمسيحية في القدس وهذا نصها. "إن الغرض الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمى بمواصلتهما في الشرق الأوسط من تلك الحرب التي أثارها الطمع الألماني، هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك تحريراً نهائياً وتأسيس حكومات ومصالح أهليه تبني سلطتها على اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم، وتنفيذاً لهذه النيات قد وقع الاتفاق على تشجيع العمل على تأسيس حكومات ومصالح أهلية في سوريا والعراق اللتين أتم الحلفاء تحريرهما، وفي البلاد التي يواصلون العمل لتحريرها، وعلى

(1) مصطفى مراد الدباغ، مصدر سابق، 1991 م.

مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلا، والحلفاء بعيدون على أن يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من الأنظمة، وإنما همهم أن يحققوا بعونهم ومساعدتهم النافعة حركة الحكومة والمصالح التي ينشئها الأهالي لأنفسهم مختارين حركة منظمة، وأن يضمنوا لها قضاءً عادلاً واحداً للجميع، وأن يسهلوا انتشار العلم في البلاد وتقدمها اقتصادياً، وذلك بتحريك همم الأهالي وتشجيعها، وأن يزيلوا الخلاف والتفريق الذي طالما استخدمته السياسة التركية، وذلك مما أخذته الحكومتان الحليفتان على نفسيهما من مسؤولية القيام به في البلاد المحررة.

كان هذا البيان بمثابة رش الرماد في العيون، وكما هو معلوم بأن السياسة البريطانية طيلة حياتها قد اعتمدت على المراوغة وخداع الشعوب، وهذا معلوم بالطبع لدى الجميع،فلم تتمسك الحكومة البريطانية بهذا البيان لا نصاً ولا روحاً، بيد أن الفلسطينيين وعلى الرغم مما كانوا يكابدونه من سياسة عقيمة تجاههم من المحتلين، إلا أنهم شكلوا وفداً إسلامياً مسيحياً من أهالي القدس، وتوجهوا إلى الحاكم البريطاني وشكروه على ما جاء في هذا الإعلان، وقد طمأن الحاكم الشاكرين بقوله "إن لأهل فلسطين التي هي قسم من سورية الحرية الكبرى في أن يختاروا الحاكم الذي يريدونه"

تم عقد مؤتمر وطني، ضم هيئات إسلامية ومسيحية، في شهري كانون الثاني وشباط عام 1919م في القدس تألف من 27 عضوا من جميع أنحاء البلاد، واختار المؤتمر السيد عارف الداودي الدجاني رئيساً وكل من عزة دروزه ويوسف العيسى رئيس تحرير جريدة فلسطين، أعضاء بارزين في هذا المؤتمر، وأوفد هذا المؤتمر أعضاءً منه لمقابلة إخوانهم في سوريا، واعتبار أن فلسطين هي جزء من سوريا الكبرى.

تألفت لجنة تدعى لجنة كنغ – كرين King – Crane لدراسة الأوضاع، فقامت بما أوكل إليها وأبرقت في 20 / 6 / 1919م برقية إلى ويلسون قالت فيها "إن عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين متحدون في جبهة واحدة في معارضة واحدة لا تقبل جدلاً ولا تساؤلاً ضد الهجرة اليهودية، وضد إنشاء وطن مقومي لليهود، كما جاء في وعد بلفور، والكل هنا من أمريكان وإنجليز مقتنعون، بان سياسة بلفور لا يمكن أن تنفذ إلا بقوة السلاح [1].

بدا التوجه نحو قيام سورية الكبرى أي الشمالية وسوريا الجنوبية (فلسطين) وتجسيدا لروح الوحدة وانضمام فلسطين إلى سوريا، فقد أسس حسن البديري وعارف العارف صحيفة(سوريا الجنوبية).

أدركت الصهيونية العالمية وحلفائها من الدول الاستعمارية، أن أهالي فلسطين مقبلون على تأسيس نواة للوحدة والاندماج مع بقية الوطن العربي الكبير، فأوعزت بتاريخ 20/ 2/ 1920م إلى الجنرال بولز مدير عام (إدارة بلاد العدو الجنوبية – فلسطين) إلى عقد اجتماع لرؤساء الطوائف وأعيان

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص 54.

البلاد في القدس حيث تلا عليهم قرار الحلفاء بانتداب دولة فلسطين وإدماج وعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في صك الانتداب "[1]

المطلب الثالث: القدس وثورة 1920م

كان الفلسطينيون ينظمون احتفالات (النبي موسى) كل عام في فصل الربيع، فيجتمع جميع أبناء الوطن من الشمال والجنوب والشرق والغرب في القدس، ويتوجهون في احتفال مهيب، يرفعون الرايات ويهللون وينشدون الأناشيد الدينية والوطنية إلى مقام النبي موسى في غور الأردن، وكان هذا تقليد منذ عهد صلاح الدين، دأب الناس على إجراءه لشحذ همم المسلمين ورفع معنوياتهم ضد المحتلين في العهد الصليبي، وقد نشط الفلسطينيون لإحيائه في مطلع القرن العشرين للرد على العدوان الحاصل على بلادهم، فيلقون فيه الخطب الحماسية، ويتدارسون قضاياهم المصيرية.

عندما حضر بيرق الخليل واجتاز بوابة يافا (الخليل) حيث كان هذا اليوم يصادف عيد الفصح لدى النصارى والأعياد لدى اليهود وموسم النبي موسى لدى المسلمين، وفي يوم الأحد الموافق 4 نيسان 1920م هرع أبناء بيت المقدس لاستقبال القادمين، حيث ألقيت الخطب الحماسية التي انتهزت هذه المناسبة احتجاجاً على السياسة البريطانية الصهيونية، وتوقفت الجماهير أكثر من مرة للاستماع إلى الخطب التي ألقاها كل من عارف العارف، وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية والحاج أمين الحسيني وغيرهم من الشخصيات الإسلامية البارزة، حيث كانت خطبهم ذات طابع سياسي مكشوف بلغت ذروتها في رفع صورة للأمير فيصل وتحيته بوصفه "ملكا لسوريا وفلسطين " وكانت الأعصاب قد وصلت في الموقف إلى أعلى درجات الانفعال، حيث تجسدت في هذا الاحتفال الكبير مشاعر الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني، فاشترك المسيحيون فيها واشتركوا في الموكب داعين إلى الوحدة العربية والاستقلال ومعلنين معارضتهم للهجرة الصهيونية، وفي أثناء هذه الهيجان، وقع انفجار لغم أودى بحياة بعض الأشخاص من الطرفين، مما زاد في تأجيج روح المواجهة بين الطرفين العربي واليهودي في هذا الموقع، فقذفت الحوانيت المجاورة بالحجارة، واستعملت الأسلحة النارية من قبل الطرفين، حيث استمرت أعمال العنف بين الطرفين من 4 نيسان لغاية العاشر منه، على الرغم من إعلان الأحكام العرفية، حيث بلغت مجموع الإصابات من اليهود خمس وفيات و18 إصابة خطيرة و 193 إصابة بسيطة، أما إصابات العرب فقد بلغت 4 شهداء و28 جريحاً، كما جرح سبعة جنود بريطانيين.

ليس مستغربا أن يكون المسبب لهذا الانفجار هم الإنجليز، وهم سبب البلاء ليصبوا البنزين على النار.

---

(1) ا لمصدر نفسه، ص 242.

المبحث الثالث

المطلب الأول: الإدارة المدنية البريطانية

قامت الحكومة البريطانية وبإصرار منها على تحدي جميع المشاعر العربية الفلسطينية، فداست على جميع العهود والمواثيق التي قطعتها مع العرب، قبل الحرب العالمية الأولى، فعملت على تجسيد مشاعر الصهاينة، وسارت قدماً في تنفيذ سياستها الرامية إلى تهويد فلسطين، فلم تكتف بإدارة المدينة التي فرضتها على البلاد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، بل قامت بتعيين من هو اشد تحمساً بل تجّدراً في الحركة الصهيونية، وأكثر حماساً لهذه الفكرة ألا وهو الإنجليزي الصهيوني هربرت صموئيل بتاريخ1 تموز 1920م مندوباً سامياً على فلسطين، وعندما دخل القدس كانت تحرسه الدبابات وسلاح الجو البريطاني، والذي قيل عنه في هذا الموقف عن الحراسات التي كانت تحيط به، لم تتوفر مثلها في أرض المعركة في منطقة غزة بين الأتراك والإنجليز، ولهذا فإن هذا الصهيوني قدم على جناح دبابة، ليرهب العباد، وينفذ الخطط التي رسمتها له الحركة الصهيونية بمباركة من الحكومة البريطانية.

قد جاء تعيين هذا المندوب لأمر هام، ألا وهو تنفيذ وعد بلفور، وليساعد اليهود على بناء وطن قومي لهم في فلسطين، وعلى قيام الدولة اليهودية والكيان الصهيوني الذي سيحل محل الحكومة البريطانية في فلسطين، بعد انتهاء فترة الانتداب، ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية هي التي ضغطت على الحكومة البريطانية، وألزمتها بتعيين هذا الصهيوني اليهودي الإنجليزي المتطرف في منصبه، قبل أن تعهد عصبة الأمم للحكومة البريطانية بتوقيع معاهدة الصلح مع الدولة التركية من جهة، وقبل أن تقر عصبة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين.[1]

كانت سياسة هذا الصهيوني المتطرف واضحة للعيان، ومعروف الهدف الذي جاء من أجله ومع هذا، فإنه كان يتظاهر بأنه معتدل، وأنه سيقف على الحياد بين العرب واليهود، وأنه لا يبغي سوى خير الفريقين، ولكي يتقرب من العرب عفى عن المحكوم عليهم كلهم، خلا عارف العارف والحاج أمين الحسيني، فإنه كما قال في بيانه الذي أذاعه على الناس يوم هبط البلاد، رأى ألا يعفو عنهما إلا إذا سلما نفسيهما للعدالة البريطانية، وكانا بعيدين عن متناول السلطة، فلم يأبها لقوله، ولم يستسلما وراحا يضاعفان من جهدهما لخدمة قومهم وبلادهم، ثم عاد فعفا عنهما دون قيد أو شرط.[2]

---

(1) رفيق شاكرا لنتشه و ياغي إسماعيل أحمد، أبو عليه، عبد الفتاح حسن – تاريخ فلسطين الحديث المعاصر،ط1، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1991 م، ص26.

(2) العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، مصر: دار المعارف، ص143 .

هذه فترة الحكم العسكري البريطاني على فلسطين، التي شهدت بداية الهيجان وتكشفت النوايا ضد أبناء هذا الشعب، الذي حكم عليه أن يغادر أرضه وديار ليسلمها الإنجليز لقمة سائغة لليهود، ومع هذا فإن أهل البلاد الفلسطينيين لم يهنوا ولم يستكينوا ولم يرضخوا للأمر الواقع، بل ثاروا منذ اللحظات الأولى على الاستعمار وأعوانه، وأعلنوا العصيان وقاموا بكل من أوتوا من قوة بمقاومة الدخيل، وللقدس في هذا نصيبها الأوفر، فهي حاضرة البلاد، وهي المستهدفة أولاً وأخيراً، فكانت هي المدينة التي تقود الثورات وتتصدر المقاومة،وهذا قدر أهل القدس العرب على مدى تاريخهم !.

لكل ما تقدم فإنه يجب ألا يغيب عن بالنا بأن الشعب الفلسطيني قد تنبه، وللوهلة الأولى من الاحتلال الاستعماري لبلاده، بأن ناقوس الخطر يدق أبوابه، وقد عمل وبجميع إمكانياته المتواضعة والمحظور عليه أن يظهرها في مقاومة أطماع المحتلين.

ومما هو جدير بالذكر، بأن حكومة الانتداب البريطاني قامت بتأسيس جمعية تسمى "جمعية محبي القدس " وكان من أهداف هذه الجمعية تحسين الوجه الحضاري والأثري لمدينة القدس حيث تم استقدام مهندس بريطاني من اجل الإشراف على البناء في هذه المدينة، بيد أن الأمر أصبح مكشوفاً لأبناء المدينة العرب، إذ أن الهدف من هذا الإجراء كان لإفهام العالم الخارجي، بأن سكان القدس راضون عن هذا الحكم، فزادت المعارضة لهذا الإجراء، مما دفع الحكومة البريطانية على إرضاء الناس وذلك بتشكيل المجلس الاستشاري الذي ضم عددا من أبناء البلاد، إلا أنهم عادوا فأعلنوا عدولهم عن هذا المجلس، سرت روح الحركة النضالية إلى أنحاء متفرقة من البلاد، فآزرت يافا القدس في هذا الموقف، حيث حدثت اضطرابات شديدة بين السكان العرب واليهود في منطقة يافا، وتولى الجيش البريطاني الدفاع عن اليهود، فقام بقتل عدد كبير من أبناء مدينة يافا العرب.

كانت الأحداث نتيجة حتمية لموقف بريطاني المناصر لليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، والضغط على العرب بجميع الوسائل وتجريدهم من السلاح، وإفقار الفلاحين لدفعهم بيع أراضيهم من أجل الهجرة وتوطين اليهود مكانهم، وبذر عنصر التفرقة بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد، واستبدال رئيس بلدية القدس كاظم بالحسيني بالسيد راغب النشا شيبي وأخذ كل من أبناء هذا العائلات العريقة في القدس يستقطب حوله الناس فدب الصراع بين هذه الفئات، وانقسم الناس إلى مؤيد ومعارض لسياسة كل منهما، وهذه سياسة بريطانيا المعلنة ألا وهي " سياسة فرق تسد ".

ففي غمرة هذه الأحداث، والضغوط المتتالية على الفلسطينيين بجميع الوسائل، كان على النقيض منها المد الصهيوني المدعوم من الكيان البريطاني والإمبريالية العالمية بلا حدود، فقد وضعت بريطانيا العظمى جميع إمكاناتها، وسخرت كل قدراتها من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ،وإنشاء

المستوطنات اليهودية فيها والضغط على السكان الأصليين العرب، من أجل ترحيلهم وإخلاء هذه البلاد، وجعلها لقمة سائغة للمحتلين.

المطلب الثاني: المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى

عندما دخلت القوات البريطانية فلسطين، استولت على جميع المؤسسات والدوائر الرسمية التي تركتها الحكومة العثمانية، ولهذا كانت الأوقاف والمحاكم الشرعية الإسلامية تدار من قبل الحكومة البريطانية، وكان يدير الصهيوني اليهودي المستشار القضائي المستر بنتويش الذي أغضب المسلمين بسوء تصرفاته تجاه المقدسات الإسلامية، ولهذا توجه المسلمون بالمطالبة بإيجاد إدارة إسلامية بحته، لتتولى أمر المحاكم الشرعية والإشراف على الأوقاف الإسلامية، فعقد مؤتمر في القدس بتاريخ 9تشرين الثاني 1921م ضم المفتين والقضاة والعلماء في فلسطين، وقرروا تأسيس مجلس شرعي إسلامي أعلى يتولى جميع الشؤون الإسلامية في فلسطين، وقد تقدم هذا المجلس بطلب إلى الحكومة البريطانية فوافقت على تشكيلته، وصدر نظام تأسيسه في الجريدة الرسمية في 12آذار 1921م، نظام نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 15 أيار1921م بالموافقة على هذا التشكيل.

تم تشكيل المجلس من رئيس العلماء الفلسطينيين، وعضوين من القدس، وعضو من لواء نابلس، وآخر من لواء عكا، واشترطوا أن يكون انتخاب الأعضاء بواسطة المنتخبين الثانويين الذين ينتخبون من قبل الأهالي، وقد تم تأليف المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى الأول من المفتي الحاج أمين الحسيني رئيساً، وعضوية كل من الحاج سعيد الشوا من غزة وعبد الله الدجاني من يافا والشيخ محمد مراد من حيفا وعبد اللطيف صلاح من نابلس.

المطلب الثالث: مهام المجلس الإسلامي الأعلى

حددت مهام المجلس الإسلامي الأعلى بما يلي:

1- إدارة الأوقاف الإسلامية وإقرار ميزانيتها.
2- ترشيح القضاة الشرعيين، ورئيس وأعضاء محكمة الاستئناف العليا ومفتشي المحاكم الشرعية.
3- تعيين المفتين في مدن فلسطين.
4- تعيين مأموري الأوقاف وموظفي الشرع وعزلهم.

المطلب الرابع: تشكيلات المجلس الإسلامي عبر دوراته المتعاقبة

كان المجلس الإسلامي مؤلفاً من الرئيس والأعضاء السابقين، ولكن جرى على هذا المجلس تعديلات وتغييرات على رئاسة وعضوية الأعضاء كما هو مبين.

تم استبدال السيد أمين التميمي من نابلس، بدل السيد عبد اللطيف صلاح، تم تعيين الشيخ محي الدين عبد الشافي من غزة مكان السيد الحاج سعيد الشوا، وتم تعيين السيد عبد الرحمن التاجي من الرملة مكان السيد عبد الله الدجاني الذي انتقل إلى رحمته تعالى، ولما توفي الشيخ محمد مراد حل مكانه أمين عبد الهادي، ولما أقيل أمين عبد الهادي (نابلس) حل مكانه كمال إسماعيل (عنبتا). وحل الشيخ يوسف طهبوب (الخليل) مكان عبد الرحمن التاجي.

تشتت المجلس الإسلامي إبّان الثورة العربية الفلسطينية عام 1936 م/ 1938 م، حيث حاول الإنجليز إلقاء القبض على سماحة الشيخ أمين الحسيني، وقد التجأ إلى المسجد الأقصى المبارك، ولم يعثر عليه حيث التجأ إلى لبنان وبقي هناك حتى توفاه الله. كما نفي التميمي إلى سيشل. في عام 1937م، عينت الحكومة أمين عبد الهادي، والشيخ كمال إسماعيل، والشيخ محي الدين عبد الهادي، والشيخ يوسف طهبوب لإدارة المجلس.

بقيت هذه التشكيلة للمجلس الإسلامي حتى 1/ 1/ 1947م حيث استبدلت الحكومة البريطانية الشيخ محي الدين عبد الهادي والشيخ يوسف طهبوب بالسيدين علي حسنا (القدس) وحسن ابوالوفا الدجاني (يافا)، كانت هناك لجنة ثلاثية تسيطر على الأعمال المالية، وكانت هذه اللجنة أصلا مؤلفة من رئيس وعضوين، أحدهم مسلم والآخر مسلم وقد استبدل العضو الإنجليزي بعضو مسلم، ثم أصبحت اللجنة من ثلاثة أعضاء مسلمين،عام 1947م وهم، روحي عبد الهادي رئيسا، والشيخ توفيق الطيبي، ووصفي العنبتاوي، وكانت نفقات المجلس الإسلامي عام 1947م / 1948م 294و48 جنيهاً. [1]

المطلب الخامس: المؤتمرات الفلسطينية في القدس

كان لا بد للفلسطينيين من توسع دائرة مقاومتهم للاحتلال، فعمدوا بوسائل فكرية على إذكاء روح المقاومة، ونشرها بين أفراد المجتمع فكان نتيجة ذلك أن توجهوا إلى عقد اللقاءات والمؤتمرات في القدس فكان:

أولا: المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع:

بتاريخ 25 حزيران 1921م انعقد هذا المؤتمر في مدينة القدس، وتم تشكيل وفد من عدد من الشخصيات الفلسطينية،ترأسها موسى كاظم الحسيني رئيسا والحاج توفيق حماد وأمين التميمي ومعين الماضي وإبراهيم الشماس وشبلي الجمل أعضاءً،وتوجه هذا الوفد إلى أوروبا من أجل نشر قضيته العادلة للرأي العام الأوروبي بوجه عام، والرأي العام البريطاني بوجه خاص.

(1) عارف العارف سبق ذكره ص 515.

كان على رأس مطالب هذا الوفد المطالبة باستقلال فلسطين، والاعتراف بحق شعبها في الحياة الطبيعية، والدعوة إلى ضمها إلى الوحدة العربية الكبرى، وإلغاء وعد بلفور، ووقف الهجرة اليهودية إليها. تصدى لمطالب هذا الوفد وزير المستعمرات البريطاني (ونستون تشرشل) الذي كان من أشد أنصار الصهيونية، حيث اجتمع بهذا الوفد مرتين،وكان موقفه من طرحهم "أن حكومة صاحب الجلالة مقيدة بعهد سابق لعهد جامعة الأمم، فما يسعها بعد أن اضطلعت بالمسؤولية عن هذه البلاد لدى دول الحلفاء الرئيسية، أن تسمح بانتشار حالة دستورية فيها، قد تجعل القيام بتنفيذ تعهد جليل صدر عنها وعن أولئك الحلفاء في حيز عدم الإمكان".

أيقن الوفد أن الحكومة البريطانية ماضية في تعهدها لليهود، بإنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين وعلى حساب الحقوق الوطنية والتاريخية للشعب الفلسطيني، لكن هذا الوفد وجميع المحاولات باءت بالفشل، ولم يستطع هذا الوفد أقناع الحكومة البريطانية بعدالة موقفه،وأصدر وثيقة فنّد فيها جميع المزاعم البريطانية التي تدعم الصهاينة، واعتبروا وعد بلفور باطلاً، حيث انه جاء بعد مراسلات وتوصيات لما وعدت به بريطانيا الشريف حسين إبّان الحرب العالمية الأولى، التي تعاون فيها العرب مع الحلفاء، وأن هذا الوعد منافٍ لجميع ما تم الاتفاق عليه، وعلى حكومة الانتداب البريطاني أن تعترف باستقلال فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني.

ازداد الضغط على سياسة بريطانيا الموالية لليهود، فأصدر رئيس وزراء بريطانيا الكتاب الأبيض عام 1922 حيث جاء فيه "إن وعد بلفور الذي تعتزم الحومة البريطانية التقيد به، لا يهدف إلى إخضاع السكان العرب أو الثقافة العربية، ولكن اليهود موجودون في فلسطين بدافع من الحق وليس التسامح، وسيكون في وسعهم أن يزيدوا عددهم من خلال الهجرة شريطة على ألا يتعارض ذلك مع الطاقة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد، وأعلن الكتاب الأبيض أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية، تعتزم تبني التطور التدريجي نحو الحكم الذاتي الكامل، وستنشأ في المجلس مهمة الاتفاق مع الإدارة العامة بشأن القضايا المتعلقة بتنظيم الهجرة، على أنه في حال قيام خلافات بين اللجنة الإدارة العامة تكون الكلمة الفاصلة لحكومة صاحب الجلالة البريطانية".[1]

ثانيا: المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس:

أخذت حدة التوتر تتوسع بين الحكومة البريطانية التي تبنت المشروع الصهيوني والشعب الفلسطيني، الذي أيقن وبجدّية أن الحكومة البريطانية ماضية في تنفيذ سياستها الرامية، إلى تحويل فلسطين وطناً قومياً لليهود و طمس حقوق الشعب الفلسطيني، فلم تتوقف هذه المرة المؤتمرات على القدس

(1) عبد الوهاب الكيالي سبق ذكره ص 164.

فقط، بل توسعت لتصل إلى أنحاء متفرقة من البلاد، حيث تم عقد المؤتمر بتاريخ 22 آب سنة1922م، واستمر حتى الخامس والعشرين من هذا الشهر، في مدينة نابلس وحضره عدد كبير من المؤتمرين وقد تم استعراض أقوال وزير المستعمرات البريطاني تشرشل وما حمله الوفد الفلسطيني في جعبته بعد عودته من أوروبا فأيقن الجميع بأن الحكومة البريطانية تماطلهم وهي ماضية في تنفيذ سياستها تجاه فلسطين. كما أوصى المؤتمر بإقامة تعاون أوثق بين عرب فلسطين وسائر العرب وذلك بتوطيد العلاقات الاقتصادية والتعليمية، كما اقترح إرسال وفود إلى الدول العربية لإبلاغهم وضع فلسطين وما آلت إليه الأوضاع والظلم الذي يتعرض له شعب فلسطين، فتبنى هذا المؤتمر ثمانية عشر قراراً من أهمها رفض الدستور الجديد ومقاطعة الانتخابات القادمة للمجلس التشريعي، لأن هذا المجلس في اعتقادهم أنه يحصر السلطة كلها بيد البريطانيين وخاصة المندوب السامي، الذي يعتبر بحق الحاكم على هذه البلاد.

ثالثا: المؤتمر العربي السادس:

تم عقد هذا المؤتمر في مدينة يافا بتاريخ 16 / حزيران سنة،1923 فبادر إلى عقده موسى كاظم الحسيني، وتم في هذا المؤتمر رفض المعاهدة الأنجلو عربية التي اعتبرت مناقضة لحقوق عرب فلسطين ومصالحهم، وقد تلي بيان هام ألقاه السيد جمال الحسيني واستعرض في خطابه الطويل الحجج القوية، حيث دافع عن سياسته الرامية إلى الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة البريطانية، موضحاً أن هذه الضرائب تحولها الحكومة البريطانية إلى اليهود حيث ختم بيانه مستندا إلى مبدأ" لا ضرائب بدون تمثيل"

خرج هذا المؤتمر بتوصيات أخرى منها. إعادة إيفاد وفد إلى الدول الأوروبية ليشرح لهذه الدول الظلم الذي حاق بالشعب الفلسطيني وقد أنتدب السيد موسى كاظم الحسيني رئيسا وعضوية كل من أمين التميمي ووديع البستاني لهذه المهمة.

لكن هذا الوفد لم يلق من الحكومة البريطانية الترحيب اللازم وامتنعت عن استقباله، وهذا يعني الإصرار الكامل من قبل هذه الحكومة على تنفيذ خطتها الرامية إلى تنفيذ وعد بلفور. وهذا ما خلص إليه هذا الوفد، ومن هذا المنطلق فقد بدأ الشعب الفلسطيني يتخذ أساليب جديدة في مقاومة الاحتلال بأشكاله.

رابعا: المؤتمر العربي الفلسطيني السابع:

تم عقد هذا المؤتمر في مدينة القدس بتاريخ 20 حزيران سنة1928م، فترأس هذا المؤتمر السيد موسى كاظم باشا الحسيني، وشهده حوالي مائتين وخمسين شخصية من مختلف أطياف الشعب الفلسطيني، وكان وضع هذا المؤتمر أكثر المؤتمرات ضعفا،. لما آلت إليه الأوضاع السياسية والاقتصادية والسياسة التي فرضتها الحكومة على الشعب الفلسطيني،بيد أنه خرج بنتائج منها. الاحتجاج على

السياسة البريطانية لإكثارها من الموظفين الإنجليز في جميع الدوائر الرسمية، والإكثار من العمـال اليهـود وترجيحهم على العمال العرب، واستغلال أملاح البحر الميت، ومنح هذه الامتيازات إلى شركة أجنبية.

كما أوصى المؤتمر بتشكيل لجنة تنفيذية مكونة من 48 شخصية تـضم كافـة الكتـل والجماعـات والمناطق والمصالح.

obeikandl.com

المبحث الرابع

استفزاز المشاعر الدينية لدى المسلمين

تعود جذور الاضطرابات التي وقعت عام 1929م إلى حادث وقع في القدس في الرابع والعشرين من أيلول عام 1928م، أي يوم عيد الغفران لدى اليهود، وأصبح هذا الحادث بداية لسلسة من الحوادث التي انتهت إلى الصدام عام 1929 م كانت الشرارة التي أشعلت ذلك الحادث، هي محاولة اليهود وضع ستار يفصل بين الرجال والنساء في أثناء الصلاة عند حائط البراق، حيث أمرت الحكومة البريطانية وحفاظا على التقليد المتبع وتمشيا مع روح "الوضع الراهن" بإزالة الستارة، وعندما رفض اليهود إزالة الستارة، عمد البوليس البريطاني إلى إزالتها بالقوة، ولما قام البوليس بهذا الإجراء قامت قيامة اليهود فقدموا شكوى إلى جمعية الأمم، كما قام المسلمون بتقديم مذكرة حكومية ومما جاء فيها" ويعتقد المسلمون الذين عرفوا بالتجارب المرة ما تنطوي عليه صدور اليهود من المطامع التي لا حد لها في هذا الموضوع، أن غايتهم هي امتلاك المسجد الأقصى تدريجيا بزعم انه (الهيكل) مبتدئين بالجدار الغربي وهو قطعة لا تنفصل عن المسجد الأقصى المبارك.

على إثر ذلك عُقد في القدس في اليوم الأول من تشرين ثاني سنة 1928 م برئاسة مفتي القدس مؤتمر إسلامي كبير، حضره مندوبون من سوريا ولبنان وشرق الأردن، وقد صدرت عن هذا المؤتمر توصيات احتجاج بكل قوة على أي عمل أو محاولة ترمي إلى إحداث أي حق لليهود في مكان البراق الشريف، والطلب من الحكومة منع اليهود من وضع أي أدوات عبادة لهم في هذا المكان، وأخيراً يلقي المؤتمر تبعة ما ينتج من أحداث على عاتق الحكومة.[1]

وفي 14 آب من نفس العام، قامت مظاهرة كبيرة في تل أبيب، وتوجه عدد كبير من الشباب اليهود صوب القدس حاملين الأعلام متجهين صوب حائط البراق، فنشروا العلم الإسرائيلي على الحائط ونشدوا النشيد الوطني الإسرائيلي هاتكفاه.

أثار هذا الحدث حفيظة المسلمين كثيرا، وصادف اليوم التالي أن كان يوم جمعة وذكرى المولد النبوي الشريف، وتم حشد عدد كبير من أهالي بيت المقدس ومن القرى المجاورة وتوجهوا صوب الحائط المذكور، وألقى الشيخ حسن ابو السعود أحد مشايخ المسجد خطاباً حماسياً ألهب عواطف الجماهير مما أدى إلى تحطيم منضدة كانت موضوعة على الرصيف، وتم إحراق بعض الأوراق التي كان اليهود قد زجوها في ثقوب الحائط الروماني.

(1) مصطفى مراد الدباغ سبق ذكرهص 264.

أدركت الحكومة البريطانية أن الوضع يزداد سوءاً يوماً تلو يوم، مما جعلها تستنفر قوات احتياطية بدبابات وعربات من شرق الأردن ومصر وركزتها في المنطقة الواقعة بين الرملة والقدس استعداداً للطوارئ.

وفي يوم الجمعة الموافق 23 آب عام1929م، تدفق أعداد كبيرة من القرى المجاورة إلى القدس مسلحين بعصيهم وهراواتهم، وانقضوا على اليهود مما أدى إلى وقوع العديد من الإصابات بين الطرفين.

المطلب الأول: ثورة البراق

التعريف بحائط البراق: هو الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك، وهو المكان المعروف لدى المسلمين بأن الرسول الكريم (ﷺ) قد ربط البراق فيه ليلة أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك، كما أن الرصيف الذي يقف عليه اليهود للزيارة، هو وقف إسلامي بموجب الصكوك المحفوظة لدى دائرة الأوقاف الإسلامية.

أبعاد حاط البراق: يبلغ طوله 156 قدماً وارتفاعه 56 قدماً ويبلغ طول بعض حجارته 16 قدماً.

أما بالنسبة إلى اليهود، فقد كانوا يقومون بزيارته في يوم الصيام التاسع من شهر آب، لاعتقادهم بأن هذا الحائط يذكرهم بزوال ملكهم كما يدعون، ومن هذا المنطلق كانوا ينحبون ويبكون عند هذا الحائط مما تعارف عليه بحائط المبكى.

اعتاد اليهود الحضور إلى هذا المكان في هذه المناسبة، وقد سمح لهم المسلمون بأن يقيموا شعائرهم ثم يعودون من حيث أتوا دون المساس بعقيدتهم أو بهم، إذ كانوا يلتزمون الهدوء والسكينة، بيد أنهم عندما شعروا بأن نفوذهم قد زاد، أخذوا ينشبون أظفارهم ويتحدون مشاعر المسلمين.

كانت الحكومة البريطانية تؤيد الوضع الراهن (ستاتيكوStaticو) بالنسبة لجميع الأماكن المقدسة في بيت المقدس، ومن جملتها مكان البراق.

المطلب الثاني: انتقال الإضطرابات خارج القدس

عندما وصلت أنباء اضطرابات القدس إلى نابلس والخليل، قامت الجماهير الغاضبة بمظاهرات صاخبة. وفي إحدى الهجمات على إحدى المدارس اليهودية في الخليل قتل يهودي واحد، وفي اليوم التالي تجددت الاشتباكات وقتل من الجانبين اليهودي والعربي ما يربو على ستين يهودياً وأربعة وخمسين عربياً وسقط عدد من الجرحى من الجانبين.[1]

(1) أبيشار، عود يد، سيفر حبرون، ص.....

وفي نفس اليوم هاجم جمهور جائح قشلاق البوليس في نابلس من اجل الحصول على السلاح، بيد أن البوليس تصدى لهم وأطلق النار عليهم، كما وقع هجوم على اليهود في بيسان، فهاجم العرب المستعمرات اليهودية في تلك المنطقة ودمروا ست مستعمرات تدميراً كاملاً كما حدث صدام في حيفا بمنطقة هادار كرمل و في المدينة القديمة بمنطقة المطاحن.

أما في صفد فقد هاجم الفلسطينيون اليهود ووقع في أثناء هذا الهجوم ما يربو على 45 من اليهود بين قتيل وجريح، وأضرمت النار في عدد من البيوت والحوانيت.

أما على الجانب الآخر فقد قام اليهود بالعديد من الهجمات ضد أهداف عربية فلسطينية في يافا والقدس، ففي يافا هاجم اليهود الصهاينة مسجداً وقتلوا الإمام وستةً من أفراد عائلته، ومثلوا بالجثث أبشع تمثيل، وفي القدس هاجموا مقام الصحابي (عكاشة) في الجهة الشمالية من مدينة القدس، كما قام اليهود بمهاجمة القبة القيمرية الأثرية حيث قاموا بهدم البناء والقبور وتمزيق وإحراق ما عثروا عليه من كتب ومصاحف قرآنية، وداسوا عليها بنعالهم، وقد ثبت هذا الاعتداء في تقرير لجنة (شو) في الصفحة 87.[1] حيث ورد في هذا التقرير " وفي اليوم السادس والعشرين من شهر آب وقع هجوم من اليهود على مقام النبي عكاشة في القدس، وهو مكان مقدس قديم الأثر له مكانة كبيرة من التقديس في نفوس المسلمين، وأصيب بتلف كبير ودنست قبور الصحابة الكائنة فيه".

كانت المصادمات في المناطق التي يقطنها يهود، بيد أن هناك مدناً لم يسكنها يهود، فقد قام المواطنون وتضامناً مع إخوانهم في هذه المدن الملتهبة بالمظاهرات الصاخبة تأييداً لإخوانهم، فقامت المظاهرات في كل من عكا وجنين وطول كرم وغزة...

كان نتيجة هذه الهجمات المتبادلة بين الجانبين، وعلى إثر أحداث البراق، أن سقط عدد من القتلى من اليهود وعددهم 133 نسمة وبلغ عدد الجرحى 339 جريحا بينهم 198 إصابات بعضهم بالغة أدخلوا إلى المستشفيات جرائها، أما العرب فقد بلغ عدد قتلاهم 116 نسمه بينما بلغ عدد الجرحى 232 جريحا. [2]

نتيجة لهذه الأحداث المؤسفة، والتي أذكى أوراها الإنجليز ولم يضعوا لها حداً في البداية كونهم أصحاب السلطة، وأنهم الحكومة المنتدبة على فلسطين، إلا أنهم اتبعوا سياسة "فرّق تسد"، وموّلوا الصهاينة بالسلاح، وفرضت غرامات باهظة على العرب قدرها 17840 جنيها وسيق إلى المحكمة ما يربو على 1300 شخصاً.

---

(1) تقرير لجنة شو صفحة 86، 87.

(2) عبد الوهاب الكيالي ، سبق ذكره ص 205 .

جرت المحاكمات التعسفية فحكم على 25 عربيا بالإعدام وعلى يهودي واحد فقط، وقد سعت جميع الهيئات الوطنية في البلاد لاستعاضة حكم الإعدام بالمؤبد، بيد أن الحكومة البريطانية لم تستجب لجميع هذه المطالب وأصرّت على إعدام ثلاثة من الشبان العرب في سجن عكا، وهم عطا الزير، ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء17 حزيران سنة 1930م ونفّذ فيهم الحكم داخل السجن.

لكل ما تقدم فإن هذه الأحداث التي وقعت عام 1929 كانت بسبب حائط البراق، ولهذا فقد أوصت لجنة شو البرلمانية بتعيين لجنة دولية لتعيين ما لكل من الفريقين من حقوق في هذا الحائط، وعلى اثر ذلك الفت لجنة الانتدابات في عصبة الأمم لجنة دولية مؤلفة من سويدي رئيسا وسويسري وهولندي، وصلت اللجنة إلى القدس في صيف 1930، وبعد أن استمعت للطرفين المتنازعين قدمت تقريرها بالإجماع في نهاية 1930 ومما جاء فيه

" للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه، موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير، يمنع جلب أية خيمة أو ستار أو ما شابههما من الأدوات إلى الحائط لوضعها هناك ولو كان ذلك لمدة محدودة "[1]

المطلب الثالث: دور المرأة الفلسطينية في المعترك السياسي

تم تشكيل نواة لتنظيم فلسطيني مسلح وعدد أفراده 400 عنصرا، وسرت هذه الأفكار بين جميع فئات الشعب، من رجال وطلاب حيث بادرت النساء الفلسطينيات إلى عقد مؤتمر نسائي في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول سنة 1929م، وحضر المؤتمر أكثر من مأتي مندوبة مسلمة ومسيحية في القدس ينتمين إلى مختلف أنحاء البلاد، وكانت معظم المشتركات ينتمين إلى الأسر الفلسطينية البارزة وأبرزهن زوجات الزعماء السياسيين، وتم انتخاب عقيلة موسى كاظم الحسيني رئيسة لهذا المؤتمر." اعتبرت العديدات من المندوبات اللواتي القين خطبا في المؤتمر أن صك الانتداب كما تطبقه الإدارة العامة في فلسطين هو وحده المسئول عن كل ما جرى من الأحداث كما أنهن دعون بحماس إلى القيام بحركة قومية عامة لتوحيد جهود جميع المنظمات النسائية في فلسطين، كما رفضت مقررات المؤتمر تصريح بلفور والهجرة اليهودية ودعت إلى إقامة حكومة وطنية تكون مسؤولية أمام مجلس تمثيلي كما حثت على تنمية وتطوير صناعات وطنية"[2]

(1) الدباغ، مصدر سابق ص 269.

(2) عبد الوهاب الكيالي مصدر سابق ص 212 .

إذن فالمرأة الفلسطينية، وصلت من الوعي والنضج السياسي والفكري ما أهلها أن تخوض المعترك السياسي جنباً إلى جنب مع الرجل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما وصلت إليه العقلية الفلسطينية على جميع المستويات وعلى روح المقاومة للمحتل وإجهاض المد اليهودي والتنبه إلى الهجرة اليهودية، والأخذ بأسباب القوة وتشجيع الصناعة والتنمية، وهذا دور المرأة الفلسطينية الريادية في جميع المجالات التي كانت مبكرة في تطلعاتها السياسية وكأنها تحمل هموم هذا الوطن على كاهلها!.

لم تتوقف الحركة الوطنية عند هذا الحد، وتقتصر على أهل فلسطين خاصة بل تنادى العرب والمسلمون لنصرة الشعب الفلسطيني، وكان من أقرب الناس إلى هذا الشعب الأخوة العرب شرقي الأردن، فشاركوا في مؤتمر حضره شيوخ عشائر الأردن للدفاع عن فلسطين!.

المطلب الرابع: المؤتمر الإسلامي العام الأول في القدس

على إثر ثورة البراق التي اندلعت شرارتها بسبب محاولة اليهود الاستيلاء على حائط البراق، والذي أصدرت عصبة الأمم تقريرها في ديسمبر1930 م وفيه اعتراف بملكية المسلمين للحائط. دعا الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى مؤتمر يعقد في القدس حيث حضر هذا المؤتمر وفود من 22 دولة عربية وإسلامية، وقد افتتحت جلساته في المسجد الأقصى المبارك ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب عام 1350هـ وفق كانون الأول سنة1930 م.

كان الهدف من هذا المؤتمر، هو إيجاد كتلة عربية إسلامية تقف سداً منيعاً أمام مطامع اليهود في البلاد المقدسة، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة منها "تنمية التعاون بين المسلمين، وحماية المصالح الإسلامية، وصيانة المقدسات والبقاع المشرفة من كل تدخل وسيطرة، والبدء بإنشاء جامعة بيت المقدس تسمى "جامعة الأقصى "وجمع التبرعات لحماية المسجد الأقصى، وإنشاء شركة لإنقاذ الأراضي الفلسطينية، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلامية، وتنبيه علماء المسلمين ورؤساء حكوماتهم إلى الخطر الصهيوني على فلسطين ومقدسات المسلمين فيها وعلى البلاد الإسلامية التي تجاورها، والاحتجاج ضد الهجرة الصهيونية، والسماح ببيع الأراضي، والمطالبة بحق تقرير المصير لفلسطين، واستنكار كل أنواع الاستعمار، واعتبار كل مسلم يساعد السلطات الاستعمارية عدواً للإسلام والمسلمين "[1].

شكر المؤتمر في نهاية جلساته، نصارى فلسطين وشرق الأردن، على عواطفهم التي أبدوها، واعتبروا قضية العرب الأرثوذكس جزءاً من القضية العربية، ولفت نظر الحكومة إلى وجوب انتخاب بطريرك عربي لهم.

(1) رفيق النتششه، إسماعيل أحمد / أبو عليه، عبد الفتاح، سبق ذكره ص 102 .

ليس غريبا أن تتوحد جهود النصارى الأرذوكس مع مسلمي فلسطين، فهذه مواقف مشهودة لهم، وكم كانت لهم مواقف مشرفة وقفوها في هذه البلاد، فقد كانت مواقفهم في عهد صلاح الدين الأيوبي وفي هذه الأحداث وغيرها، وما زالت مواقفهم حتى يومنا هذا مشرفة ويعتبرون أنفسهم جزءا من الشعب الفلسطيني يجمعهم الهدف والمصير.

المطلب الخامس: مظاهرات القدس سنة 1933 م

أيقن الفلسطينيون أن سبب الداء الذي ينخر في قلب قضيتهم هم الإنجليز، فوجهوا أنظارهم صوب هذا المحتل الخبيث، الذي يغذي الحقد الصهيوني ويدعم اليهود ضد عرب فلسطين، ويشجعونهم على الهجرة إلى فلسطين، ويضغطون على عرب فلسطين بكل ما أوتوا من قوة، من أجل تمكين الصهاينة من بلاهم ومقدساتهم !." فعقدت في مدن فلسطين اجتماعات شعبية سنة 1932م/ 1933 م تنادي بذلك، وبالدعوة إلى عدم التعاون مع الإنجليز، وتحدي قوانينهم، والمطالبة بالاستقلال، فدعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطينيين إلى تظاهرات في القدس في 13 تشرين الأول / أكتوبر 1933 م يسير فيها أعضاؤها وزعماء البلاد، مع رفض استئذان السلطات تحدياً لقانون الاجتماعات، على أن يرافق هذه التظاهرات إضراب عام، فبادرت السلطة إلى إصدار بلاغ يمنع التظاهرة، ويهدد باستخدام ومعاقبة المخالفين، وعلى الرغم من ذلك، سارت المظاهرات من الحرم القدسي يوم الجمعة، يتقدمها موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية وزعماء البلاد وأعضاء اللجنة، واشترك فيها السيدات مع الرجال، والمسيحيون مع المسلمين، ولما وصلت إلى أحد أبواب سور القدس انبرى البوليس لتفريقها، فوقع اصطدام أسفر عن جرح بعض المتظاهرين ورجال البوليس.

انتشرت المظاهرات في العديد من المدن والقرى الفلسطينية وبعد صلاة الجمعة، سارت التظاهرة الكبرى التي اشتركت فيها وفود من سوريا وشرق الأردن، فتصدت لها قوة كبيرة من قوات الأمن وأطلقت النار على المتظاهرين الذين ردوا عليها بالحجارة، فوقع 30 شهيدا وأكثر من 200 جريح عربي. وقتل احد أفراد البوليس وجرح عد د منهم، وكان مع المتظاهرين موسى كاظم الحسيني الذي أصيب بجروح وكدمات وأغمي عليه، وقد امتدت هذه المظاهرات إلى جميع أنحاء فلسطين أعقبها إضراب شامل وتوقف عن الحركة لمدة أسبوع كامل، كما وصل أوار هذا الإضراب إلى الأقطار العربية المجاورة مما أدى إلى تضامن هذه الأقطار كمصر وسوريا، فتجاوبت مع فلسطين تجاوباً روحياً واستمرت الاضطرابات فيها زهاء الشهرين[1]

(1) -مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وحضارتها، نابلس : المكتبة الجامعية، ص 89.

نتيجة للوضع الذي آلت إليه الأحوال، وما وصلت إليه القضية الفلسطينية من تـردٍ لأوضـاعها على يد الإنجليز الذين عملـوا وبكـل قـواهم علـى تهويـد أرض فلـسطين، وتـشجيع الهجـرة اليهوديـة والاستيطان وصد العرب الفلسطينيين عن مواصلة الكفاح، وتكبيل أيديهم وكبح جماحهم والعمل على تجريدهم من ممتلكاتهم وقدراتهم، أيقن الفلسطينيون أن الصهاينة ليسو هم الوحيدين في الميـدان بـل أن الإنجليز من وراء جميع هذه التصرفات اليهودية، فتوجهت الثورة العارمة ضد الطرفين اليهود والإنجليز.

كانت وما زالت القدس بأهلها هي محور الصراع وهي المحرك الحقيقـي لجميـع هـذه الأحـداث كونها (القدس)، ولأن بوصلة الخطر تتوجه صوبها وأطماع اليهود تتمحور باتجاهها، فـأدرك المقدسـيون الفلسطينيون بخاصة والعالم العربي والإسلامي بعامة خطورة الموقـف، فكانـت المظـاهرات والمـصادمات والشهداء والجرحى والمقاومة نابعة من أرجائها رداً على الإجراءات التعسفية بحقها وحق الوطن أجمع.

لم تذهب هذه المقاومة سدى، بل أنها أفرزت نتائج طيبة كان من ضمنها ما يلي:

أ- ظهور دور المرأة في الكفاح والتصدي للمحتل بجميع أشكاله، في هذه المرحلة حيث عقـد مؤتمر نسائي في القدس سنة 1929 م واتخذ هذا المؤتمر قرارات هامة وقفت النساء بآرائهن فيه، مع مطالب الرجال في هذه القضية الوطنية، وشـاركن في المظـاهرات الـصاخبة ضـد الاحتلال.

ب- كان نتيجة للحاجة الماسة إلى المال لـدعم المـشاريع العربيـة في القـدس وفلـسطين، إنـشاء البنك العربي، الذي يعتبر مؤسسة وطنية رائدة لدعم المواطن الفلـسطيني والـذي أسـسه المرحوم عبد الحميد شومان.

ت- كما أنشئ مصرف زراعي عربي في القدس برأسمال وقدره 600000جنيه فلسطيني لدعم المزارع الفلسطيني، وتحسين أرضه رداً على المصارف اليهودية التي تم إنشاؤها لهذه الغاية.

المطلب السادس: الأوقاف الإسلامية على القدس في هذه الفترة

كان نتيجة لهذه الأحداث التي قامت في القدس، أن تنبه المجلس الإسلامي وبعض الغيورين مـن أبناء الشعب الفلسطيني إلى قضية تسرب الأراضي إلى اليهود وبيعها بواسـطة الـسماسرة، فقامـت حملـة اشترك فيها المجلس الإسلامي الأعلى، فعمل على منع تسرب الأراضي إلى أيدي اليهود وقام المخلصون بإقناع صغار الفلاحين بوقف بيع أراضيهم والعمل على وقفها وقفا ذريا، وقد تم إلغاء عقـد بيـع 5000 دونما لليهود، كما شهّر الوعاظ والمدرسون بسماسرة وباعة الأرض، مما أدى إلى ثـني هـؤلاء الأشـخاص عن المضي في بيع أراضيهم وتسريبها لليهود.

تمكن المجلس الإسلامي من إعادة مساحات كبيرة من أراضي النبي روبين، تم تسريبها لليهود في فترات سابقة فتم استردادها وإعادتها للوقف الإسلامي.

كما عمل المجلس الإسلامي على إعادة أراضي سيدنا علي، حيث كانت هذه الأرض لعائلات سورية، فلما حاول اليهود شرائها، حال المجلس الإسلامي دون ذلك وضمها للأوقاف الإسلامية.

وهناك مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية في مناطق متفرقة من البلاد خاصة في المناطق السهلية من أراضي طولكرم، استطاع المجلس الإسلامي إن يعيدها ويسجلها أرضا وقفية على مصالح المسجد الأقصى المبارك.

لم يتوان الفلسطينيون ولم يتوقفوا في لحظة من اللحظات عن المقاومة بجميع أشكالها، والدفاع عن أرضهم بجميع الوسائل المتاحة لهم، وكانوا على علم ووعي كبيرين بما يحيق بهم من مؤامرات إنجليزية ومكر صهيوني، ويعرفون المخططات الرهيبة التي تحاك ضدهم، فقاوموا الغاصب بكل ما أوتوا من قوة، بيد أن موازين القوى، حالت دون ذلك، على الرغم مما حدث لهم وما وصلوا إليه فإن هذا لا يعني أن الفلسطينيين قد تنازلوا عن حقوقهم ونسوا وطنهم بل أنهم مصّرون على نيل حقوقهم ولو بعد حين... !؟.

المطلب السابع: القدس وثورة 1936م

استمر الوضع في فلسطين على ما كان عليه من صراع مسلح واضطرابات ومظاهرات وقلاقل ذلك لأن الصهاينة واصلوا تحديهم للعرب، بزج أعداد كبيرة من المهاجرين إلى فلسطين، من ناحية، كما أنهم هرّبوا كميات كبيرة من الأسلحة إلى المستوطنات والعمق الفلسطيني يعدون أنفسهم لمواجهات قادمة كبيرة، علاوة على الدعم اللامتناهي للمستعمر البريطاني لليهود، من ناحية والمراوغة في انتهاج السياسة الداعمة للكيان الصهيوني، بالإضافة إلى الضغط المتواصل والتشديد اللامتناهي أيضاً على السكان العرب الفلسطينيين. كل هذه الأسباب حدت بالفلسطينيين إلى مواصلة كفاحهم الذي ساندهم فيه إخوانهم العرب من الأقطار العربية المجاورة، ودعموهم بالمال والسلاح والرجال، لكن هذا الدعم والقدرات لم تكن على مستوى الدعم البريطاني والمد الغربي لليهود. فتواصلت أعمال العنف بين الطرفين، وزاد أوار الثورة على المحتلين، ولم يلق أهل فلسطين السلاح أو يقصّروا في الدفاع عن وطنهم ولا للحظة واحدة، وأنه لمخطئ خطأً لا يغفر له التاريخ من يزعم أن الفلسطينيين تهاونوا يوماً ما في سبيل الدفاع عن وطنهم ووجودهم في هذه البلاد !.

لم يقتصر الدفاع عن هذه البلاد بالمقاومة العسكرية، بل كانت أيضاً بالتوعية وعقد المؤتمرات والندوات والاجتماعات والخطب والدروس الدينية والتوعية الفكرية التي انتشرت ثقافتها بين جميع

فئات الشعب، الداعية إلى التمسك بالأرض وعدم التفريط فيها، وأصدر المجلس الإسلامي الأعلى الفتاوى التي تحرم بيع الأراضي أو التفريط بها لليهود!.

لكل ما سبق، فقد كان تجمعت الغيوم المتلبدة في خريف 1935 م نذيراً بالعاصفة الكاسحة التي هبت عام 1936 م، فكان هناك سببان هامان لما آلت إليه الأوضاع سوءاً في الجانب العربي، ألا وهما:

1. ازدياد حالة الفلاح العربي سوءاً، وذلك بتسريب أرضه إلى اليهود بجميع الوسائل الخبيثة التي انتهجتها السياسة البريطانية الصهيونية من عدم دعم للمزارع، وتجهيله وانتزاع مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة في مرج بن عامر وغيره من البلاد.
2. البطالة المستشرية التي دبت بين جميع أفراد الشعب، لعدم توفر فرص العمل والإنتاج، وذلك بسبب إهمال الحكومة البريطانية لمطالبه، والضغط عليه لتجويعه وتركيعه، فنشأت حركات المقاومة المحلية، وانتشرت في جميع أنحاء الوطن، حيث كان من ابرز هذه الثورات ثورة الشيخ عزا لدين القّسام التي ذاع صيتها في أنحاء الوطن، وحمل أبتاعها السلاح وبدأوا في مقاومة الإنجليز أولاً، بيد أن الحكومة نصبت له ولأتباعه كميناً في أحراش يعبد، واستشهد مع عدد من أتباعه، بيد أن اسم هذا المناضل بقي حياً وعاش في خلد الأمة إلى يومنا هذا،وأصبح رمزاً للمقاومة الفلسطينية التي أسست الجناح العسكري باسمه، كما أن الأحزاب السياسية الفلسطينية قد وحّدت قيادتها وأجمعت على مقاومة الاحتلال بأشكاله.

في خضم هذه الأحداث التي أرّقت مضاجع الإنجليز والتي حسبوا لها ألف حساب من هذا الشعب الهائج مما دفعهم إلى حشد قواتهم من أنحاء مختلفة من المناطق المجاورة حتى من بلادهم، لزجها في أرض المعركة بالإضافة إلى الرديف الصهيوني المتواجد في هذه البلاد.

نظرا لضرورة المواجهة بجميع الوسائل فقد عمد الإنجليز وفي العديد من المناسبات إلى تشكيل لجان وإصدار العديد من كتب الطمأنة للشعب الفلسطيني كالكتاب الأبيض والأسود وغيرها، لكن جميع هذه الوسائل لم تجد نفعاً أمام الواقع المتردي والمراوغة البريطانية والمكر اليهودي والدعم المتواصل !. الذي وضع أساسه وعد بلفور المشئوم.

شكلت اللجنة العربية العليا بتاريخ 25 نيسان 1936 م برئاسة الحاج أمين الحسيني، واتخذت قراراً بالاستمرار في المقاومة إلى أن تغير الحكومة البريطانية سياستها الرامية إلى تهويد البلاد، ومن هذه المطالب التي قدمت ما يلي:

أولا: وقف سيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

ثانيا: إنشاء حكومة فلسطينية وطنية يسيرها نظام ديموقراطي ومسئولة أمام مجلس تشريعي يسن القوانين ويسِّير أمر البلاد.

ثالثا: الحد، بل وقف تسرب الأراضي الفلسطينية والتحايل على أهلها وتفريغها من أصحابها الشرعيين وتحويلها إلى الكيان الصهيوني.

واصلت المؤسسات والشخصيات الفلسطينية الاحتجاجات على مواقف الحكومة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، التي تمثلت بالضغط على العرب وإطلاق يد اليهود في البلاد.

وقد عقد في القدس في الثامن من أيار 1936 م مؤتمر وطني جميع اللجان لقومية. وهيمن على المؤتمر الثوريون العرب،الأمر الذي جعل المؤتمر لا يكتفي بمواصلة الإضراب فقط بل تجاوز ذلك بأنه " لا ضرائب بدون تمثيل.

قدمت العرائض الاحتجاجية للحكومة البريطانية، منها العريضة المقدمة في 30حزيران 1936م موقعة من 137 شخصية للمندوب السامي البريطاني، تستنكر فيها سوء نية الحكومة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، وتدين فيها سياستها المنحازة الرامية إلى تكثيف الهجرة اليهودية، والقسوة التي تتعامل بها مع أبناء الشعب الفلسطيني، ثم تبع هذه العريضة عريضة أخرى موقعة من 1200 موظفاً يحتجون فيها على نفس الأسلوب وتبعها عريضة ثالثة... تتضمن نفس المعنى.

ازداد الحماس الوطني لدى عرب فلسطين، فسرت روح الثورة في جميع أنحاء الوطن مدنه وقراه، وزاد السخط في الأرياف، الذي دعا إلى عدم دفع الضرائب للحكومة وارتفاع حدة العنف وقد بعث واكهوب إلى حكومته تقريراً يفيد فيه بأن جميع" أهل المدن والقرى متحدون"مطالباً بتشكيل لجنة لدراسة هذا الواقع.

زادت حدة التوتر واستعمل السلاح على نطاق واسع بين الأطراف، وزاد لهيب نار الثورة في فلسطين التي انضم إليها أعداد كبيرة من الداخل والخارج، فعم الإضراب جميع أنحاء البلاد وبدأت المقاومة الشرسة التي حار الإنجليز أمامها، وعملوا على تهدئتها بجميع الأساليب، بيد أنهم لم يستطيعوا إيقافها، فبدأت الحكومة البريطانية تنهج أسلوباً جديداً من التعسف والقتل والتشريد ضد أبناء هذا الشعب المجاهد.

لم تأل الحكومة البريطانية جهداً في إخماد أوار هذه الثورة، بكل أساليبها العسكرية إلى أن لجأت إلى إجهاضها، فقامت بتوسيط الملوك والزعماء العرب لدى الفلسطينيين من أجل وقف المد الثوري، واللجوء إلى الطرق الدبلوماسية، فوجه الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي والإمام يحي والأمير عبد الله في العاشر من شهر تشرين الأول نداءاً مشتركاً دعوا فيه إلى حل الإضراب ووقف الثورة " والاعتماد على النّيات الحسنة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة "

" شكلت بريطانيا لجنة برئاسة (بيل PEEL)وهي ما تسمى باللجنة الملكية البريطانية لدراسة أسباب الثورة الفلسطينية الكبرى سنة 1936 م، وهذا ليس بغريب أن تقوم الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة تحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية العارمة التي استمر إضرابها ستة أشهر."[1]

بعد هذه الأحداث الدامية والإضراب الذي شل جميع نواحي الحياة في فلسطين، وتدخل الملوك والرؤساء العرب لدى الفلسطينيين بوقف هذه الثورة، قررت اللجنة العربية العليا تلبية النداء ودعت الأمة الإخلاد إلى السكينة ووقف الإضراب واستؤنفت الحياة، على أمل أن يشرق فجر جديد يأتي بحل سحري يخدم القضية العربية التي وضعت الحكومة البريطانية كل ثقلها لتنفيذ الأهداف الصهيونية!؟.

كان لا بد لي هنا من وقفة في هذا المجال، لأعرِّج على هذا الإضراب والوساطة العربية التي دفعت اللجنة العربية العليا على وقفه. وكما علل الدكتور الكيالي في كتابه "تاريخ فلسطين" الحديث هذا الأمر بقوله "...أما الأسباب التي حملت اللجنة العربية العليا إلى الدعوة إلى حل الإضراب ووقف الثورة فتتصل، على الأرجح، بتقديري لمدى خطورة ما تطورت إليه الحالة العسكرية بعد وصول الفرقة البريطانية الجديدة، أضف على ذلك انتشار البطالة بسبب الثورة واقتراب موسم الحمضيات الذي يمس مصالح الكثيرين من الوجهاء السياسيين الأمر الذي جعل استمرار الإضراب محل خلاف وجدال، كما أظهرت ذلك معارضة مقاطعة لجنة (بيل) PEEL بعد ذلك بوقت قصير."

لكن الوساطة العربية على مستوى الملوك والزعماء العرب، جعلت من حل هذا الإضراب حالة من التراخي وعودة الثوار العرب إلى أوطانهم وكأن حالة التهدئة التي جنح إليها أهل هذه البلاد وبطلب الزعماء العرب أدت إلى ما هو أسوأ !.

على إثر الإخلاد للسكينة ووقف الإضراب وفي شهر تموز 1937 م وصلت اللجنة الملكية البريطانية إلى فلسطين وكان تقريرها يوصي بما هو أسوأ:

1. تقسيم البلاد إلى دولتين مستقلتين، إحداهما دولة عربية تضم شرقي الأردن مع القسم الجنوبي والشرقي من فلسطين.
2. إنشاء دولة يهودية في القسم الشمالي والغربي من فلسطين.
3. وضع القدس ومنطقة بيت لحم تحت الانتداب البريطاني.

كان من الطبيعي أن يرفض الفلسطينيون هذه القرارات، ويوصلون كفاحهم المشروع، فكان ردة الفعل العربي أقوى من هذه القرارات الجائرة، وازدادت حدة المقاومة، وتعاظمت قوة الثورة وفي تشرين

(1) رفيق ألنتشه وآخرون، سبق ذكره، ص 41.

أول سنة 1938م كانت الإدارة المدنية في القدس القديمة قد انهارت، وتمكن الثوار من طرد البوليس منها والسيطرة عليها وسيطروا على أجزاء كبيرة من فلسطين وحرروا العديد من المواقع والمدن الفلسطينية.

زاد الطين بله، اغتيال حاكم الجليل في الناصرة، فاتخذت الحكومة قراراً بإلقاء القبض على المفتي، وتجريده من صلاحياته، وسحب رئاسة لجنة الأوقاف منه، بيد أنه التجأ إلى المسجد الأقصى ولم تستطع الحكومة إلقاء القبض عليه، إلى أن تمكن سراً اللجوء إلى لبنان.

المطلب الثامن: القدسبعد ثورة عام 1936م حتى نهاية الانتداب البريطاني

عندما نتحدث عن فلسطين، فإننا نتحدث عن القدس لأن القدس هي محور الصراع وعصب القضية الفلسطينية، والقدس هي الهدف وراء هذه الصراعات على مر العصور، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نستثني القدس من أي حديث عن فلسطين أو عن الشرق أو حتى الحرب العالمية الكونية، لأن من يملك القدس يتحكم في أرض الرسالات ومهد الديانات فهي ملتقى الأفئدة وبوصلة العالم منذ وجودها وملتقى الحضارات المتصارعة، وهذا قدرها أن تكون لب الصراع العالمي.

إن القيادات المتعاقبة بين جنباتها جعلت أهلها يتبوؤن الصدارة دائماً، ليكون القرار بأيديهم، فمنذ ظهور الحركة الصهيونية على مسرح الأحداث، نجد أن القدس هي الهدف والغاية من ظهور هذه الحركة، وأن المعارك الطاحنة والصراعات المتعاقبة، كانت تتمحور حول القدس، وان الناطقين باسم القضية والموجهين للسياسة العليا في هذه الديار هم رجالات القدس على مر هذه الأزمنة. وهذا قدرهم أيضا وديدنهم، لأنهم سدنة الأماكن المقدسة، وأصحاب الجذور العميقة في هذه الديار وأهل الرأي الفصل.

كان الصراع المحتدم بين أهالي فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، مع القطبين المتجاذبين الصهيونية والاستعمار البريطاني على أشده في هذه الديار، فعمل الفلسطينيون بكل ما أوتوا من قوة على وقف الهجرة اليهودية ومقاومة المحتل الغاصب، بل ومجابهة المغذي لهذا العدو، فكان على النقيض من ذلك التعسف والقتل والتدمير وإطلاق العنان للصهاينة بتوسيع الاستيطان وتغذيتهم بالمال والسلاح والدعم المتواصل، وإصدار كتب الطمأنة للعرب التي لم تجد لها في قرارة نفوسهم المصداقية، والتلاعب بالعواطف أكبر الأثر في احتدام الصراع ومواصلة الجهاد، فشرد من العرب من شرد، واستشهد منهم من استشهد، وزج في السجون الآلاف، وكان على الطرف الآخر الدعم والتأييد في المحافل وإرضاءه على الرغم مما كان يقوم به أحيانا عندما لم يوافق مصالحه من قتل لمن يدعمه وسفك دماء لمن يشجعه ويسنده !.

واصلت الثورة الفلسطينية والكفاح ضد هؤلاء الأعداء طريقها، فلم تتوقف ولو للحظة واحدة، وأن توقفها يعني تفوق الطرف الآخر عليها وحسر نشاطها، بيد أن هذه الحركة الوطنية وعلى الرغم مما جابهته من شدائد، إلا أنها تعرضت في النهاية وعلى يد الإنجليز إلى القمع وإصدار العديد من الكتب التي لا تنصف العرب الفلسطينيين، وإن كانت بعض الرسالات التطمينية تهديْ من روعهم إلا أنها كانت وبتأثير وضغط من قبل اليهود إلى تغيير سياستها التي تحابي بها هؤلاء القوم. وكان من أبرز الكتب التي طمأنت العرب الفلسطينيين (الكتاب الأبيض) بيد أنه لم يكتب له النجاح.

"أما التغييرات الدستورية المقترحة في هذا الكتاب، فإن الحكومة البريطانية لم تتخذ أي خطوة لتحقيقها، فظلت تمارس الحكم مباشرة، كما تمارسه في أي من مستعمراتها، ولم تتوان قط في نزع السلاح من العرب، وأصرت على حل منظماتهم،والحيلولة دون عودة زعمائهم، وتشددت في منع الحركة الوطنية من أي نشاط مما تبنته من قوانين وأنظمة متذرعة بالضرورة الحربية". [1]

ولأن الصهاينة عملوا بدهاء وذكاء واللعب على جميع الحبال، وأنهم يسيرون دائما مع الكفة الراجحة، فحينما أدركوا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد بدأ نفوذها يزداد، وأن بريطانيا عادت لتكون صنو الدول الكبرى الأخرى، بدأ ميولهم يتوجه صوب الولايات المتحدة، ذلك لأن لليهود جالية كبيرة في هذه البلاد من ناحية، ولأن نفوذ هذه الجالية كان كبيراً من الناحية المالية والإعلامية، فاستطاعت الصهيونية العالمية أن تسخّر رجالاتها وتوجهاتهم السياسية صوب هذه البلاد لإقناع الحكومة والشعب الأمريكي، بأن لهم قضية عادلة، وأنهم يودون العودة إلى أرض الميعاد، التي وعدهم الله بها على حد تعبيرهم، علاوة على ذلك، فإن هناك عنصراً هاماً في الثقافة الغربية، ألا وهي الثقافة الدينية التي يتحلى بها أبناء الغرب المأخوذة من التعاليم التوراتية الممزوجة بالتعاليم المسيحية، حيث أن ثقافة الزعماء والشعوب الغربية جلّها تعود إلى التعاليم التوراتية، ويجهلون الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في بلاده، ومن هنا جاء الدعم المادي والمعنوي لليهود في هذه الديار، مع عدم توفر القدرات لدى الجانب العربي في هذا المجال، والوقوف عند حدود معينة سواء كان ذلك على الصعيد الإعلامي أو المادي، أضف إلى ذلك التقاعس العربي الذي يتصف به الزعماء والقادة الذين جلّ همهم الحفاظ على مراكزهم وامتيازا تهم، مما تسبب في ضياع القضية ووصولها على ما وصلت إليه!.

خطت القضية الفلسطينية خطوات جبارة في مقارعة المحتل، ووقفت في وجه الصهاينة و المحتل البريطاني أبسل وقفة، وفقد الشعب الفلسطيني الأعداد الكثيرة من زهرات شبابه في خضم هذه المعركة الشرسة، بيد أنه من الأسباب التي أوصلت هذه القضية إلى ما وصلت إليه بالإضافة إلى ألأسباب

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، سبق ذكره،ص 114 .

السابقة هو تعريب هذه القضية ووضع مصيرها في أيدي الزعماء والقادة الذين تجاوزوا بمصالحهم الآنية هذه القضية، ولم يقدموا لها ما تستحق من دعم ومساندة !.

لنم تحظ القضية الفلسطينية في الحقبة من الزمن بما تستحقه من دعم خارجي عربي أو إسلامي، بل كانت تمر بمداولات ومؤتمرات وكتب وجلسات لا طائل من ورائها، إلا الوقت الضائع الذي كان يعمل لصالح اليهود، وقد شكلت اللجنة الأنجلو أمريكية لتعيد النظر في القضية الفلسطينية برمتها، وكأن الأمر قد بدا من جديد، متناسين ما وصلت إليه القضية وما سفك على أرضها من دماء وما تكبده هذا الشعب من خسائر، فقبلت الولايات المتحدة الدخول في هذه اللجنة على أن شروط اختصاصها ما يلي.

1. دراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وتأثيرها في مسألة هجرة اليهود إليها.
2. دراسة أحوال اليهود في أوروبا، حيث أنهم - كما يدعون – كانوا ضحية الاضطهاد النازي والفاشي، وتقدير عدد الذين يودون النزوح إلى فلسطين أو إلى دول أخرى خارج أوروبا.
3. وبهذا الإجراء يتم حل مشكلة اليهود الذين أبادهم النازيون على حساب الشعب الفلسطيني، أسوة بوعد بلفور المشؤوم.
4. تقديم التواصي إلى الحكومتين البريطانية والأمريكية لمعالجة مشكلات فلسطين، وإيجاد حل دائم لها، وإلى أن تقدم اللجنة تقريرها، تتداول الحكومة مع العرب للتوصل إلى تدبير يضمن استمرار الهجرة اليهودية الشهري الذي نص عليه الكتاب الأبيض.

هذا موقف فاضح من قبل الإدارة البريطانية التي عاركت أهل فلسطين عقوداً من الزمن، ووطدت أقدام اليهود في هذه البلاد، والآن تحاول أن تجر أرجل أمريكا لتزجها في جريمتها التي خططت لها منذ عهد بعيد، ولتعلن للعالم أنها دولة ديموقراطية لا تظلم الشعوب، وأنها ليست صاحبة القرار الأوحد في هذه القضية، بل لغيرها المشاركة في الجريمة، وفعلاً دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في حضن الجريمة، وانسحبت بريطانيا وتبنت أمريكا إسرائيل ودعمتها ماديا ومعنويا، وفتحت لها أبواب ترسانتها العسكرية وخزانتها على مصراعيها، إلى أن تبنتها في النهاية وأصبحت تدافع عنها في جميع الميادين والمحافل الدولية متغاضية عما ترتكبه من جرائم بحق هذا الشعب. كما هو الحال في أيامنا هذه، حيث أنها وبمكرها استطاعت أن تجر أرجل أمريكا إلى المستنقع الإسلامي في الشرق والعراقي كما نشاهده اليوم.

المطلب التاسع : القدس محط رحال المندوبين الساميين واللجان

بقيت القدس هي المحطة الرئيسة التي يتوجه إليها من تعينهم الحكومة البريطانية كمندوبين ساميين وحكاما على هذه البلاد،حيث بلغ عددهم حوالي سبعة حكام من أعلى الرتب وأكفأها في الحكومة البريطانية، فيديرون شؤونهم العسكرية منها، ويتخذون قراراتهم السياسية والعسكرية فيها بتوجيه من بلدهم الأصلي، بيد أنهم وعلى الرغم من إمكاناتهم وقدراتهم العسكرية والمادية، وعلى الرغم من قساوتهم وشدة بطشهم في أبناء هذه المدينة الصابرة وفي جميع أبناء فلسطين، لم تتوقف الثورة والنضال ضدهم، فتوجهت أنظار الفلسطينيين صوب الإنجليز بالإضافة إلى الصهيانة وأخذوا يحاربون جيشاً ضخماً مدرباً بيده ترسانة أسلحة هائلة ومدداً وإسناداً بشرياً ضخماً. فكان الفلسطينيون من المنعة ومواصلة التصدي لهذه الحكومة الجائرة ما لم تستطع هذه الحكومة من توقيفه، أو وضع حد له على الرغم من الخسائر المادية والبشرية الهائلة التي مني بها الشعب الفلسطيني والأحكام الجائرة التي فرضت عليه.

أما بالنسبة إلى اللجان التي كانت ترسلها بريطانيا إلى هذه البلاد، فكانت محط رحالها مدينة القدس ولا تستطيع تجاوزها إلا لأخذ المعلومات من هنا أو هناك ثم تعود إلى القدس.

هذه القدس في العهد البريطاني، حيث أخذت بريطانيا ترسل الوفود فيضعون القرارات والتوصيات ويصدرون كتب التقسيم أو التهدئة، ولكن لم يطبق منها على أرض الواقع شيئاً إلى أن نقلت القضية برمتها إلى هيئة الأمم، وأخذت تتنصل من مسؤوليتها الأخلاقية والتاريخية، بعد أن تم قضم معظم أراضي فلسطين، وتحويلها إلى اليهود، وتشجيع الهجرة اليهودية بأعداد هائلة، وبناء المدن والمستعمرات اليهودية، وقتل العرب وتشريدهم وزجهم في السجون ومطاردة الثوار ونسف بيوتهم.

الفصل الثاني

المبحث الأول

قرار التقسيم

أصدرت هيئة الأمم بتاريخ 29 تشرين ثاني 1947 م قرارها القائل بتقسيم فلسطين إلى دولتين: دولة يهودية، وأخرى عربية، أما القدس فتقرر تدويلها.

في 14أيار 1948 م رحل المندوب السامي البريطاني، وما كادت شمس اليوم التالي أي 15 أيار تغيب حتى كان آخر جندي بريطاني قد رحل، وبذلك انتهى العهد البريطاني الذي استمر ثلاثين عاماً مظلماًعلى فلسطي، كان نتيجته البطش والقتل وسفك الدماء وتكريس وعد بلفور وتقسيم فلسطين ومنح اليهود دولة فيها عل حساب أهلها الشرعيين، وبهذا فقد ارتكبت بريطانيا أعظم جريمة بحق البشرية والإنسان والمقدسات.

غادر الإنجليز بعد أن هيئوا الظروف المناسبة محلياً وعربياً ودولياً لاستيلاء اليهود على فلسطين ومن ضمنها الجزء الأوفر من القدس الغربية، فدخل الجيش الأردني القدس الشريف يوم 18/ 5/ 1948.

"شعر العرب بعد صدور قرار التقسيم بخيبة الأمل، وأدركوا ولأول مرة في تاريخهم أنهم أمام حقيقة مرة هي الدولة اليهودية التي خلقتها بريطانيا بمساعدة أمريكا والدول التي تدور في فلكها، فصمم العرب الدفاع عن بلادهم وأنفسهم وكيانهم الذي أضحى قرار التقسيم يهدده.

كذلك كان الأمر عند اليهود، فإنهم لم يحلموا بأن يحصلون على قرار يمنحهم دولة ذات سيادة، ولقد كانوا يسعون للحصول على هذا القرار منذ عشرات السنين، فأصبح حلمهم حقيقة واقعة، ولهذا بدأوا يستعدون لاهتبال الفرصة التاريخية وتنفيذ القرار الذي أعطاهم دولة على الورق ليطبقوها على الأرض.

كان عرب فلسطين يعتمدون على الدول العربية التي تعهدت بإنقاذ فلسطين، وركنوا إلى وعود الدول العربية بإرسال جيوشها بعد جلاء الإنجليز،ولم يقم عرب فلسطين بإعداد جيش بل تركوا الأمر للمناضلين يعملون على مختلف القطاعات والمدن بدون تنظيم. وعرب فلسطين معذورون إذ لم تكن لهم

حكومة ترعى مصالحهم، وكانت الهيئة العربية العليا تعمل في ظروف صعبة جدا ولم تتمكن من إثبات وجودها كحكومة بسبب إبعاد زعماء البلاد وعلى رأسهم سماحة الحاج أمين الحسيني عن وطنهم .[1]

عندما قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة تقسيم فلسطين، ووضع القدس ومنطقتها التي تمتد من شعفاط شمالا والعيزرية شرقاً وبيت لحم جنوباً وقالونية غرباً، تحت إشراف دولي، وافق اليهود على المشروع كله مع الاعتراض على دولية القدس، ورد العرب المشروع كله بما في ذلك تدويل القدس.

عهدت الجمعية العامة إلى مجلس الوصاية بوضع نظام للوصاية الدولية على القدس، ففعل على أساس إيجاد إدارة موحدة، يشترك فيها العرب واليهود وممثلو الأمم المتحدة، وتستند إلى مجلس استشاري مشترك، وإلى حاكم عام له صلاحيات واسعة تعينه الأمم المتحدة. [2]

المطلب الأول: القدس في خضم الأحداث في عامي 1947م و 1948

الوضع السكاني:

في الوقت الذي اتخذت فيه الأمم المتحدة قرارها المشهور بشان التقسيم، داعية إلى أن تصبح القدس كياناً منفصلاً، كان الإقرار بالوجود العربي _ الديموغرافي والاقتصادي والاجتماعي – في المدينة أمراً لا مفر منه. كان العدد السكاني في المدينة ضمن حدود البلدية 100الف يهودي و 60000عربي لكن القدس العربية تعتبر المركز التجاري والإداري بالنسبة لفلسطين، ومن هذا المنطلق وسع البريطانيون حدود منطقة القدس، فأصبح الوضع السكاني أكثر بقليل لصالح العرب من اليهود، حيث أن السكان العرب كانوا 105 آلاف بينما اليهود حوالي 100 ألف. وكان العرب يملكون أكثر من 80٪ من الممتلكات بينما اليهود يملكون 7 ٪ فقط.

لكن أصبح هناك خللاً في التوازن السكاني، حيث أن العرب كانوا ينمون نمواً طبيعياً في القدس، بينما الهجرة اليهودية أخذت تتدفق بشكل مفاجئ.

"بعد قرار بريطانيا نقل مسؤوليات انتدابها إلى الأمم المتحدة، وموافقة مجلس الأمن على قرار التقسيم في تشرين ثاني، بدا أن المخططين العسكريين الصهاينة يحيكون خطة للاستيلاء على القدس بكاملها، وعملوا على اجتياحها، وأحاطوا بها من جميع الجهات الجنوبية والغربية والمالية ولم يبق سوى الجهة الشرقية منم المدنية مفتوحة، واستثمر اليهود الحرب القذرة وسياسة الذبح والتهجير والإبادة الجماعية فقاموا بمجزرة دير ياسين، وقتلوا 250 من السكان المحليين مما أثار الرعب في نفوس الناس،

(1) التل، عبد الله، كارثة فلسطين،ط2؛ دار الهدى، 1990م، ص 2 .

(2) المصدر نفسه ص 97.

وشكلت عصابات إجرامية مثل الهاجانا والأرغون وشتيرن كان همها نشر الرعب في نفوس الفلسطينيين، وارتكاب المذابح الجماعية وتخويف الناس وتهجرهم، مما حدا بأهل القدس الغربية أن يتركوها ويهاجرون منها، كما هو الحال مع أهل القرى العربية المتاخمة للقدس من الجهة الغربية، والشمالية الجنوبية، مثل لفتا وغيرها من القرى التي هجر أهليها نهائيا، وأصيب الناس بالهلع من هذه الأعمال الإجرامية وزاد الطين بله، استشهاد القائد المقدسي عبد القادر الحسيني في القسطل مما تسبب في ذعر المواطنين وانكسار شوكتهم في هذه المرحلة.

لم يتوان الفلسطينيون في الدفاع عن مدينتهم بجميع الأساليب العسكرية والدبلوماسية واصلت الأمم المتحدة نظرها في قضية القدس، حيث طرحت خطة تدويل القدس في كانون الأول 1948م. فإن المدينة قد انقسمت بالفعل على امتداد خطوط المعركة التي حددتها الهدنة الثانية في 18 تموز وهي بالأسوار الغربية للمدينة المسورة وحزام من المباني المهجورة والأرض الحرام. أن الشتات الذي أنزل بسكان القدس العرب كان هائلاً، فالقسم الغربي من المدينة، حيث كان العرب يمتلكون ما يصل إلى 40 ٪ من الممتلكات أفرغ الآن من العرب. وحسب التقديرات المحافظة طرد أكثر من 30 ألف من السكان العرب من القدس الجديدة (الغربية) بأسرهم من المدينة بصورة دائمة حسب تقديرات أخرى كان عدد السكان العرب الذي طردوا أكثر بكثير، ربما 60ألفا إذا حسب ذلك مع السكان العرب الذين هربوا من المدينة القديمة أو من القرى المجاورة، وإذا حسبنا العرب الذين أفرغوا من القرى في الجهة الغربية من المدينة يزداد العدد ليصبح حوالي 80 ألفا "[1]

المطلب الثاني: القدس من منظور القرارات الدولية

تعرضت القدس إلى نكبات متلاحقة، ومؤامرات عديدة على مدى تاريخها، ويعلل المؤرخ الكبير (عارف العارف) في كتابه "المفصل في تاريخ القدس" هذه الظاهرة عن هذه المدينة العريقة بقوله: " لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه البسيطة، الدور الذي لعبته القدس في التاريخ، على الرغم من أنها مدينة لا زرع فيها ولا ضرع، وعرها أكثر من سهلها. ماؤها قليل. ليس فيها ماء ولا نبع غزير. إنها ليست من المدن التجارية الهامة، رغم وقوعها بين البادية من الشرق والبحر من الغرب، ولا هي من المدن الصناعية أو الزراعية التي تستطيع أن تكفي نفسها..

مع ذلك فقد لاقت، ما لم تلاقيه غيرها من المدن في الشرق أو الغرب، ومن وراء ظلم الطبيعة، وظلم البشر، فقد كانت على مر الدهر، مطمع أنظار الغزاة والفاتحين، فحوصرت مراراً، وهدمت

(1) هدسون، مايكل، تحويل القدس (مقال كامل العسلي، القدس في التاريخ)، عمان، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 1992م ص 319.

تكراراً، وهجرت وأعيد بناؤها عشرات المرار، وهدمت تكرارا، لكنها بالرغم من هذا كله، ظلت قائمة في هذا الوجود، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان، إنها في الحقيقة، ولا شيء وكل شيء. إنها مدينة المتناقضات... مدينة الأديان، مدينة الآثار.. مدينة التصنع.. مدينة التعصب.. مدينة السحر والخيال !.

إنها مقدسة في نظر جميع الأديان، وقد لا نعتدي على الحق إذا قلنا، إن قدسيتها هذه كانت في أكثر الأوقات السبب في شقائها وفيما انتابها من رزايا ومحن.

إنك إذا أضفت إلى صفاتها المتقدم ذكرها،وهي اليبوسة والجدب وقلة المياه (والاختلافات الدينية) أجل، إذا أضفت إلى هذا كله المصائب التي تحملها الجيوش المحتلة من هدم وتخريب، وسفك دماء، وتدمير، ومن طُرقس في الحكم تُفرض فرضاً، أدركت السبب لا بل الأسباب التي تجعل ابن القدس أميل إلى العبوس والتشاؤم في حياته إلى الفرح وتوقع الخير ".[1]

هذه مدينة عاشت ومرت عبر التاريخ بهذه الأوضاع، وتقلبت عليها الحضارات المختلفة، لا بد وأن تكون مطمع الغزاة على مر عصورها، ولا بد أن ينظر إليها العالم نظرة خاصة ميزتها عن غرها من مدن العالم، ففي مطلع القرن العشرين تعرضت هذه المدينة إلى أشرس هجمة تلاقت فيها أطماع الصهيونية العالمية وشراهة المستعمر الغربي، فعملت بريطانيا بكل ثقلها على تغيير معالمها ومحو ثقافتها وحضارتها العربية الإسلامية، التي نشأت في ظلالها منذ بزوغ فجرها وصبغها الإسلام بنوره، فكان لا ب لها من أن تتعرض للمؤامرات، لكن هناك قرارات دولية أخذت بعين اعتبار الوضع الذي آلت إليه هذه المدينة المقدسة.

على إثر الأحداث التي وصلت إليها، فقد اتخذت القرارات الدولية الهامة، من أجل هذه المدينة، بيد أن التناغم الصهيوني الاستعماري طغى على جميع القرارات الدولية، مهما كثرت، أو كان لها من تأثير، فالعدالة والإنسانية تجردت من الدول الاستعمارية، وأصرت على تنفيذ مآربها بالرغم من الوعود التي تظاهرت بها في بداية الحرب العالمية الأولى، وقطعتها على نفسها أمام الشريف حسين، لكن الغدر والخيانة كان عنوان ورمز المستعمر الذي شجع الهجرة اليهودية، وعمل بكل ثقله على تحطيم الآلية العربية في هذه البلد.

(1) العارف، مصدر سابق ص 430.

المطلب الثالث: القدس من الانتداب البريطاني إلى قيام دولة إسرائيل

القرار رقم 181 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة تاريخ 29/ 11/ 1947م

القدس / الأماكن المقدسة:

الخلفية

1- تنشأ في فلسطين دولتان، عربية ويهودية وتدويل مدينة القدس.

2- يحق للعرب واليهود المقيمين في القدس ممن وقعوا بيانا أعربوا فيه عن نيتهم أن يصبحوا مواطنين كل في دولته.

3- المحافظة على حرية المرور إلى الأماكن المقدسة لجميع الطوائف.

4- الحفاظ على الأماكن المقدسة لجميع الأديان.

5- لا تفرض ضريبة على الأماكن المقدسة.

6-المواطنون المقيمون خارج مدينة القدس، لهم حق التمتع بجنسية الدولة التي يقيمون فيها.

7- يجعل لمدينة القدس كيان منفصل (Corpus Sepratum) خاضع لنظام دولي خاص وتتولى الأمم المتحدة إدارتها، وللقدس نظام إداري وسياسي واقتصادي بإشراف خارجي.

قرار مجلس الأمن رقم 49تاريخ 22/ 5/ 1948م

الخلفية: يدعو مجلس الأمن لجنة الهدنة جميع الأطراف المعنية إلى أن تعطي التفاوض من أجل هدنة والمحافظة عليها، في مدينة القدس، الأولوية المطلقة.

قرار مجلس الأمن رقم 50 تاريخ 29/ 5/ 1948م

الخلفية: يتخذ مجلس الأمن الاحتياطيات اللازمة لحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة، في مدينة القدس.

قرار مجلس الأمن رقم 54تاريخ 15/ 7/ 1948م

الخلفية: إيعاز مجلس الأمن إلى الوسيط الدولي بمواصلة جهوده من أجل نزع السلاح عن القدس.

قرار الجمعية العامة رقم 194.تاريخ11/ 12/ 1948م

الخلفية: وضع تصور واضح لمستقبل مدينة القدس. وضمان حرية العبادة

3- قرارات مجلس الوصاية

قرار رقم 29 / الدورة الثانية تاريخ 11/ 12/ 1947م

الخلفية: القرار الذي تبنته اللجنة ينص على أن اللجنة العامة بان القدس، بإمكانها أن تستمع للأطراف المعنية.

قرار رقم 32تاريخ10/ 3/ 1948م

الخلفية: الإعراب عن الرضا بشأن وضع القدس.

قرار رقم 33 تاريخ 10 / 3/ 1948م

الخلفية: القرار ينص على الطلب إلى الأمين العام توفير اعتمادات متعلقة بمشروع نظام القدس.

قرار رقم 34 تاريخ21/ 4/ 1948م

الخلفية: القرار ينص على إحالة مسألة الموافقة على مشروع نظام القدس إلى الجمعية العامة.

قرار رقم 113تاريخ 19/ 12/ 1949م

الخلفية: القرار ينص على دعوة رئيس مجلس الأمن على إعداد ورقة عمل حول نظام القدس

قرار رقم 114تاريخ 20/ 12/ 1949م

الخلفية: القرار ينص على دعوة إسرائيل إلى إلغاء نقل بعض الدوائر والوزارات إلى القدس.

قرار117 تاريخ 10/ 2/ 1950م

الخلفية: القرار ينص على إنهاء إعداد نظام القدس.

قرارا رقم 118تاريخ 11/ 2/ 1950م

الخلفية: القرار ينص على دعوة إسرائيل والأردن إلى إبداء رأييهما في تعديل مشروع نظام القدس.

قرار رقم 232تاريخ 4/ 4/ 1950م

الخلفية: القرار ينص على دعوة إسرائيل والأردن في التعاون في تنفيذ نظام القدس.

قرار رقم 234تاريخ 14/ 5/ 1950م

الخلفية: القرار ينص على ملاحظة عدم استعداد الأردن وإسرائيل للتعاون من أجل تنفيذ نظام القدس.[1]

4 – مشروع قانون مجلس الوصاية(الخاص بالقدس)

صودق على المشروع بتاريخ 4/ 4/ 1950م.

الخلفية: على ضوء قرار التقسيم رقم (181) والذي نص على إقامة دولتين في فلسطين واحدة عربية والأخرى يهودية، على أن تبقى منطقة القدس منطقة منفصلة عن الدولتين، طلبت الجمعية العامة من مجلس الوصاية إدارة المدينة وتحضير قانون مفصل لها.

تعقيب: إن المتتبع لجميع هذه القرارات الدولية الصادرة عن الجمعية العمومية أو مجلس الأمن، يلاحظ أن التأثير الأنجلو أمريكي ما زال مهيمنا على القرارات الدولية بهذا الشأن، ويدعم فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود، وتأسيس دولة لهم فيها، وإقامة دولة عربية فلسطينية بجانبها تعيشان جنبا إلى

(1) إبراهيم ابو جابر ، سبق ذكره، ص138

جنب، وأن قضية القدس قضية لا نقاش فيها، حيث برز دور هذه القرارات المتضمنة في أغلب الأحيان تدويل القدس، وهذا ما لم يوافق عليه الطرف العربي ولا بأي حال من الأحوال.

لقد تلا هذه القرارات العديد من القرارات الدولية والاقتراحات بشان القدس، وأصبح أرشيف الأمم المتحدة وهيئة الأمم ومجلس الأمن مليئا بهذه القرارات، التي أصبحت حبراً على ورق ولم ينفذ منها شيء، وقد دعمت الحكومتان البريطانية والأمريكية جميع القرارات المتعلقة بهذا الشأن، بيد أن الفيتو الأمريكي والتعنت اليهودي والدعم البريطاني والغربي، زاد في صلف اليهود ولم يذعنوا إلى أي قرار، ولم يوافقوا على تنفيذ أي بند لأنهم يشعرون بالدعم اللامتناهي من الدول الحليفة، ويعملون على شاكلتهم إلى أن وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه الآن، وعلى الطرف الآخر كان انهيار الموقف العربي والإسلامي مما تسبب في ضياع ما تبقى من فلسطين.

المطلب الرابع: أوضاع القدس الحياتية خلال العهد البريطاني

الوضع السكاني: عاشت القدس أوضاعاً سكانية متقلبة خلال تواجدها، فقد سكنها أمم مختلفة، بيد أن الطابع العام الذي عايشته هذه المدينة على مدى تاريخها، كان طابعها العربي المميز الذي أضفى عليها عروبتها واسلاميتها منذ فجر تاريخها.

مرت على القدس أيام لم يكن فيها لغير العرب أي تواجد لليهود، وظل الحال إلى ما هو عليه بين مد وجزر إلى أن حل العهد البريطاني الأسود، الذي هيأ الأرضية الصالحة للهجرة والاستيطان الصهيوني في القدس لمآرب استعمارية.

أما بالنسبة إلى التواجد اليهودي في هذه المدينة الخالدة، فكان عبر القرون المتعاقبة على النحو التالي: قبل المدة التي سيطر فيها إبراهيم باشا على القدس على النحو التالي.

1. في القرن الثاني عشر للميلاد: يهودي واحد.
2. في القرن الثالث عشر للميلاد: عائلتان يهوديتان.
3. في عام1481م نحو 500 يهودي.
4. في عام 1491م نحو 70 عائلة يهودية.
5. في عام 1572 م نحو 115 نسمه.
6. وفي عامي 1670 م و 1688م 150 نسمه.

كان هذا عدد السكان هذه المدينة خلال هذه الحقب من الزمن، بيد أنه لم يكن هناك تعداد سكاني لأهالي فلسطين بعامة والقدس بخاصة منذ أيام أوغسطس قيصر أي منذ العهد الروماني.

أما في عهد إبراهيم باشا بن محمد علي باشا فقد كان تعداد سكان هذه المدينة على النحو التالي:

1. المسـلمون: 4500 نسمه
2. المسيحيون: 3500 نسمه
3. اليهـود: 3000 نسمه

11000 نسمه

بقي هذا العدد حول هذه الأرقام، إلى أن انتهت حرب القرم التي وقعت بين تركيا وروسيا ففي عام 1856 م كان عدد سكان القدس كما هو مبين أدناه:

1. المسلـمون: 8000
2. المسيحيون: 5000
3. اليـهود: 50000

يعلل الدباغ هذه الإحصائية إلى أن الزيادة في عدد السكان المسلمين والمسيحيين كانت طبيعية، أما الانفجار السكاني لليهود فلم يكن طبيعيا وذلك لتدفق الهجرة اليهودية على القدس بعد حرب القرم.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أي عشية دخول الإنجليز القدس وحسب الإحصاءات المتوفرة آنذاك، فقد بلغ عدد سكان القدس 48000نسمه.

ذكر (بدكر) في دليله المطبوع عام 1912م بأن عدد سكان المدينة المقدسة 70000 نسمه بينهم 10 آلاف مسلم و 15 ألف مسيحي و 45 ألف يهودي.

بلغ عدد سكان المدينة عام 1922 م 62577 نسمه منهم

- المسلمون: 13413 نسمه
- المسيحيون: 14699نسمه
- اليـهود: 33971 نسمه
- الهنـود: 484 نسمه
- سبك : 5
- دروز: 5

62577 نسمه

في عام 1931 م كان عدد السكان 90503على النحو التالي:

	ذكور	إناث
مسيحيون	9837	9489
مسلمون	11111	8783
يهـود	24795	26427
دروز	3	
بهائيون	34	
لا دينيون	28	
سمره	1	

المجموع 90503 نسمه

وفي 1/ 4/ 1941م قدر عدد سكان القدس على النحو التالي:

- المسلمون 30000نسمه
- المسيحيون 29350نسمه
- اليهود 97000نسمه
- آخرون 100 نسمه

(وقد أورد المؤرخ عارف العارف في كتابه المفصل في تاريخ القدس أن عدد سكان القـدس كـان في 18دسمبر 1946 م. كما جاء في الوقائع الفلسطينية وهي الجريدة الرسمية لحكومة فلـسطين كـان مئـة وواحد وخمسين ألفا من السكان حسب ما هو مفصل أدناه:

العدد	الدين
92000	يهود
32000	مسلمون
27000	مسيحيون

151000 المجموع)[1]

(1) -العارف، سبق ذكره ص 422.

obeikandl.com

وفي 8 تشرين ثاني عام 1947 م كان عدد سكان القدس على النحو التالي:

	عرب	يهود
البلدة القديمة	336002400	
الجزء العربي	300009000	
من البلدة الجديدة	150088000	
المجموع: 164500نسمه "[1]	99400	65100

المطلب الخامس: مدارس القدس في العهد البريطاني

عمل المستعمر البريطاني على خلخلة جميع الأوضاع في فلسطين، وجعل الميزان الراجح في جميع نواحي الحياة لصالح اليهود، وعمل على تدمير البنية التحتية في جميع نواحي الحياة العربية في القدس وغيرها من بلاد فلسطين. حيث كانت نسبة الأمية بين أطفال اليهود لا تزيد عن 3./ . بينما كانت (5 و67./ .) لدى الأطفال العرب.

موازنة التعليم في العهد الإنجليزي

بلغت موازنة التعليم في عهد الحكم البريطاني عام 1919م 53000جنيهاً مصرياً، وفي عام 1920م- 1921م ارتفع الرقم إلى 78000جنيه مصري.

أما بالنسبة إلى المدارس في القدس، فقد ذكر مؤلفا تاريخ القدس ودليلها المطبوع عام 1920 م في بيت المقدس ما يلي.

"وليست القدس غنية في كنائسها وجوامعها فقط، بل هي غنية في مدارسها أيضا، لما هناك من التزاحم بين الطوائف والدول التي كان لها مطامع سياسية في البلاد قبل الحرب العالمية الأولى. نحن وإن كنا نذهب إلى أن ندرس الحياة في الأمم، غير أن المدارس ذات المشارب المتعددة لا تكون أصلاً سببا للوحدة التي تضم كلمة الأمة وتوحد ميولها وعواطفها، ولا ريب أن ما تراه اليوم من تشتت الأفكار وتمزق الكلمة راجع على هذه المدارس ذوات النزعات المتعددة والمبادئ المتباينة.

(1) الدباغ، سبق ذكره ص 187 (بتصرف).

obeikandi.com

مدارس القدس:

في القدس 205مدرسة لمختلف الأجناس والأديان وقد تم اقتباس أسماء هذه المدارس من مصلحة التربية والتعليم الحكومية بتاريخ 31 كانون أول سنة 1945 م.

أولا: المدارس الإسلامية الخاصة:

في القدس سبع مدارس إسلامية خصوصية هي:

1- مدرسة دار لأيتام الإسلامية الصناعية: وقد أسس هذه المدرسة المجلس الإسلامي الأعلى، وهي مدرسة تعليمية للمراحل الأولية، ويواصل الطلاب فيها تعليمهم المهني كالنجارة والطباعة والدهان وصناعة الأحذية وصناعة الخيزران والموسيقى. مازالت هذه المدرسة تؤدي رسالتها في ضم الأيتام في قسمها الداخلي حيث تقع هذه المدرسة داخل السور بجوار المسجد الأقصى في منطقة الرصاصية المعروفة المجاورة لتكية خاصكي سلطان.

2- كلية روضة المعارف الوطنية: تأسست سنة 1324 هـ - 1906م ومؤسسوها الشيخ محمد الصالح والشيخ حسن أبو السعود واسحق درويش وعبد اللطيف الحسيني. فيها قسم ابتدائي وآخر إعدادي وثالث علمي. ولها مكتبة ومجلة وجمعية للطلاب، وفيها فرق متعددة للكشافة. وخريجوها يقبلون في المعاهد العلمية بسورية ولبنان ومصر وتركيا، يؤازرها المجلس الإسلامي الأعلى، فيها قسم داخلي، وبعد أن كان عدد طلابها في القسم الخارجي عام 1918م 72 طالبا وفي الداخلي 17طالبا. أصبح هذا العدد عام 1938م، في الخارجي 237طالبا وفي الداخلي 70 طالبا وانخفض هذان العددان إلى 145 طالبا خارجي و50 طالبا داخلي خلال الحرب الكونية الثانية (1939). شعارها (العلم العربي)ولغة التعليم فيها لغة الضاد، وتعنى العناية كلها بإتمام الروح الوطنية من ناحية قومية بحتة.

3- الكلية الإبراهيمية: أسست هذه الكلية عام 1931م. كانت في حي المصرارة وهي الآن في حي باب الساهرة. ومؤسسوها الشيخ راشد القاسمي والشيخ عز الدين الشريف وإبراهيم عبد المعطي بدر وجميعهم من الخليل وسموها بالإبراهيمية تيمنا باسم خليل الله إبراهيم الخليل (عليه السلام). ثم انسحب الشيخ عز الدين وحلَّ مكانه السيد نهاد أبو غربية، وهو اليوم صاحبها ومديرها، وقد أضيف لها عام 1937 م قسم داخلي. كانت ابتدائية وأصبحت عام 1941 م ثانوية. وطلابها يقبلون في الفحوص المعروفة (بالمترك) وبين أساتذتها عدد غير

قليل من خريجي الجامعات ومن دار العلوم، وبعد أن كان فيها عام 1931م خمسون طالبا أصبح فيها عام 1944 م خمسمائة طالب منهم خمسة وستون داخليا.

4- المدرسة المحمدية.

5- مدرسة الفلاح.

6- مدرسة الحكمة.

7- مدرسة البنات.

ثانيا: المدارس الحكومية.

في القدس إحدى عشرة مدرسة حكومية عربية (إسلامية ومسيحية) وهي.

1- دار المعلمين: تأسست عام 1918 م وتحول اسمها إلى "الكلية العربية" حيث ضمت هذه الدار 23 طالبا، وفي عام 1934 م – 1935 م كان بها 100 طالب، وفي عام 1945 م – 1946 م كان عدد الطلاب 88 طالبا.

2- دار المعلمات: تأسست عام 1919 م كان بها عام 1920 م 23 طالبة. 1924 م – 1925 م كان بها 54 طالبة وفي عام 1945م- 1946م 104 طالبات.

3- الكلية الرشيدية: وهي الواقعة بباب الساهرة، وقد سميت بهذا الاسم في العهد التركي نسبة إلى متصرف القدس (رشيد بك) عام 1906 م أو نسبة إلى السلطان محمد رشاد (1908م)، وهي من أحسن المدارس، وهي مدرسة أولية وفيها قسم للدروس الثانوية.

4- المدرسة المأمونية القديمة: وأغلب الظن أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري خازن الملك صلاح الدين، وهو الذي وقفها في جمادى ألأول سنة 593هـ – 1196م.

5- المدرسة المأمونية الجديدة.

6- مدرسة الشيخ جراح.

7- المدرسة العمرية.

8- مدرسة البقعة.

9- مدرسة المصرارة.

10-الكلية العربية.

11- المدرسة البكرية.

وكان خلال هذه الفترة في القدس أربعون مدرسة مسيحية خاصة.

وفيما يلي مجموع عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المدارس السابق ذكرها.

العدد	المدرسة	طالب	طالبة	معلم	معلمة
7	المدارس الإسلامية الخاصة	1101	280	46	14
11	العربية الحكومية	1900	1861	68	57
38	المسيحية الخاصة	4311	3553	193	269
المجموع		7312	5694	307	340

وبعبارة أخرى:

الفئة	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المسلمون	3502	2307	107	53
المسيحيون	3416	3098	200	287
المجموع	6918	5405	307	340([1])

إن ما يهمنا في هذه الحقبة المدارس العربية في القدس.

مما هو جدير بالذكر في،هذه الفترة، أن الحكومة البريطانية هي التي كانت تسيطر على شؤون التعليم، والمناهج الدراسة وهي التي كانت ترسم وتضع الخطط الدراسية وفق سياسة المحتل، هذا من جانب، أما على الجانب الآخر، فإن الحكومة البريطانية لم تتدخل في قسم التعليم الخاص باليهود ولم تفرض عليه أية قيود، لأن سياسة الحكومة البريطانية كانت آنذاك معنية بتمرير خطتها الرامية إلى تنفيذ وعد بلفور بحذافيره، علماً بأنه كان هناك مدير إنجليزي يشرف على سير التعليم في البلاد يساعده خمسة من رجال الإنجليز، ويعمل تحت إمرته في الإدارة العامة اثنان وعشرون موظفا فلسطينياً يديرون شؤون التعليم لا في القدس وحدها بل جميع أنحاء فلسطين.

المطلب السادس: الحياة الاقتصادية في القدس خلال العهد البريطاني

القدس ليست كبقية مدن الدنيا من الناحية الاقتصادية، فهي ليست مدينة زراعية أو تجارية أو صناعية. بل تنبع أهميتها من قيمتها الدينية التي تحوي في جنباتها أهم المراكز للديانات السماوية الثلاث، ومن هذا المنطلق يفد إليها المؤمنون من أنحاء الأرض ليؤدوا فيها مناسكهم ويتبركوا بمقدساتها. فيمكثون فيها بعض الوقت يتلمسون جنباتها ويتذكرون مواضع أقدام الأنبياء والمرسلين السابقين والرجال

(1) العارف مصدر سابق ص 446 .

الصالحين والتابعين فينهلوا من رحيق إيمانها ليعودوا على بلادهم وقد نفضوا عنهم غبار الذنوب وفاضت أرواحهم بعبقها الطاهر، فتخلد في ذاكرتهم ويتقربون من زيارتهم لأماكنها إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هذا المنطلق، فإن السياحة الدينية التي يقوم بها الملايين من أبناء البشر إلى هذه المدينة تعتبر من أهم الروافد للدخل، فاشتهرت هذه المدينة بتجارة الأدوات التي لها علاقة بالسياحة الدينية كصناعة المسابح والصناعات الخشبية الخفيفة التي يحملها معهم السياح للذكرى والبركة، فكثرت في جنبات هذه المدينة الحوانيت ذات الطابع الشرقي التي يؤمها السياح الغربيين لشراء حاجياتهم.

فالقدس لا تقع على سواحل تجارية، أوهي منطقة صناعية أو زراعية، بل هي مدينة ذات طابع ديني، وهذا ما كان سبباً في نظرة أبناء الديانات السماوية إليها، ولكونها امتازت عن غيرها من مدن الدنيا بهذا الطابع، فقد كانت على مر تاريخها مطمح الغزاة وهدف الفاتحين.

لم يذكر التاريخ أن أهل القدس قاموا في يوم من الأيام بالاعتداء على غيرهم من الشعوب المجاورة بل كانوا دائما في موضع حصين، يدافعون عن أنفسهم ويحافظون على مقدساتهم، بما أوتوا من بأس وعقيدة، ولهذا فإن من موارد الرزق فيها.

أولاً: الزراعة:

نظراً لوقوع مدينة القدس في منطقة جبلية في بلاد فلسطين، وأن هذه البلاد تمتاز بزراعة الزيتون، فقد حظيت جبالها بهذه الشجرة المباركة، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. قوله تعالى [والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين][1]

"يعتبر قضاء القدس من أحسن المناطق الصالحة لزراعة، الزيتون، في فلسطين، وأغلب تلاله ووديانه الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية ذات تربة صالحة لحسن نمو الشجرة، شجرة الزيتون، وتعتبر مناطق عين كارم وبيت جالا من أجمل مناطق القدس وأغناها وأحسنها زيتا، فأشجار الزيتون اليانعة تكسو روابيها ووديانها ومرتفعاتها، وهي تظهر بحالة خضرية ممتازة.

والجدول الآتي يغطي مساحة أراضي الأشجار المثمرة بالدونمات باستثناء الحمضيات في قضائي القدس شاملاً قضائي بيت لحم وأريحا لعام 1941 م.

الزيتون 25623	البرقوق240
الكرمة 23900	التفاح 730
التين 8500	الكمثرى185
المشمش 1200	الموز 2300

(1) سورة التين آية 1- 3.

وبحسب الإحصاء لهذه الشجرة المباركة الذي أورده المؤرخ عارف العارف فإنه كان في منطقة القدس عام 1931 م 90000شجرة زيتون.

ومن الجدير بالذكر أنه يزرع في قضاء القدس بالإضافة إلى ألشجار المثمرة، القمح والشعير والخضار والعدس والحبوب بأنواعها والخضار بأنواعها، وكان يشاهد في أسواقها احتياجات المواطنين من السكان ومن إنتاج البساتين المثمرة في هذا القضاء. [1]

وما دمنا في هذا الصدد، فإن هذا المقام يفضي بنا إلى:

ثانيا: الصناعة

صناعة الصابون: كانت القدس تشتهر بصناعة الصابون، واشتهرت منذ القدم بهذه الصناعة أي منذ العهود الكنعانية الغابرة، وعرفت عنها منذ دخول الأتراك العثمانيين واستمرت في هذه الصناعة الرائجة التي تجاوزت بإنتاجها حدودها إلى أن تعدت ذلك حيث كان الصابون المقدسي يصدر إلى مصر لجودته.

كما أن القدس اشتهرت بمعاصر الزيتون الذي يقوم المزارعون فيها بصناعة هذه لمادة الهامة، وكان لوفرة الزيت لدى أهالي بيت المقدس يخزنونه في أوعية فخارية، أي أنه في بعض الأحيان كانوا يضطرون إلى إتلافه أو الاستفادة منه لأغراض غير الأكل لوفرته حيث لم يكن هناك متسع لحفظه، ويستعمل الزيت كما هو معلوم للأكل الإنارة وكانوا يدهنون به لقول الرسول الكريم (ﷺ) (كلوا الزيت وادهنوا به).

علاوة على ذلك فإن لشجرة الزيتون استعمالات أخرى، من أهمها تصنيع الألعاب الدمى من خشب شجر الزيتون حيث أن نصارى هذه البلاد يصنعون هذه التماثيل يبيعونها على النصارى السياح الوافدين من الشرق والغرب.

بيد أن صناعة الصابون قد تضعضعت في الآونة الأخيرة، وأصبح أهل القدس ستوردون الصابون من خارج المنطقة بعد أن كانوا يصدرونه.

صناعة النسيج: يرجع اهتمام صناعة النسيج في القدس إلى الفترة التي لجأ فيها الأرمن من بلادهم إلى القدس، فبدل أن يبقى هذا الشعب الأرمني المهاجر يتلقى الهبات المساعدات من الدول التي كانت تتعاطف معه هؤلاء اللاجئين، فقد تبنت الحكومة الأمريكية آنذاك تقديم مشروع حرفة النسيج له ليقوم هؤلاء الناس بهذا العمل، وقد ازدهر عملهم في مدينة القدس وكانوا يغطون ما يحتاج إليه

(1) فنوش، صالح، القدس حضارة وتاريخ، ط1، الخليل : الأدبية للطباعة والنشر 1996م، ص 127..

المواطنون من هذه المادة تولى صناعة الغزل والنسيج جمعية محبي القدس، وكانت تقوم هذه الصناعة في سوق القطانين بجوار المسجد الأقصى المبارك.

ازدهرت هذه الصناعة في العهد البريطاني بين عام 1935م – 1945م وأسس العديد من المصانع لهذه الغاية.

1. صناعة الزجاج والخزف: كانت الخليل وما زالت من المدن المهمة في صناعة هذه لمادة عبر عهود سابقة، وقد تم تأسيس مصانع للزجاج والخزف في القس وبتشجيع من جمعية محبي القدس في العهد البريطاني أي في عام 1921 م واستقدم عدد من أبناء الخليل للقيام بهذه المهمة.
2. صناعة البلاط: نشأت صناعة البلاط في مدينة القدس، وذلك للحاجة الماسة، حيث أن المجلس الإسلامي الأعلى كان محتاجا إلى هذه المادة لترميم ما تلف من البلاط في قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، وكان الأرمن قد خبروا هذه المهنة سابقاً وقد استفاد المسلمون من خبرتهم هذه واستقدموا خبراء منهم كان على رأسهم (داود أوهانسيان) كما استقدموا عمالاً متخصصين من كوتاهيا ودمشق لنفس الغاية، وقد عثروا على الأفران القديمة التي كانت تصنع البلاط الصيني في القدس، مما جعلهم يستفيدون منها والذي كان يضاهي بل يتفوق على البلاط الأوروبي في جودته.
3. صناعة الشمع: إن للشمع دور كبير في حياة أبناء القدس، حيث أن هذه المادة تستعمل لأغراض الزينة وإنارة الأماكن المقدسة ويقبل على شراءه السياح النصارى بكثرة لإنارة الكنائس ووضعه على القبور، ومن هذا المنطلق كان لا بد من توفر هذه المادة، فأقبل المقدسيون على تصنيعه وبيعه والاستفادة منه.
4. صناعة خشب الزيتون: ترتبط هذه الصناعة بأهمية هذه الشجرة المباركة التي تنمو في جنبات بيت المقدس، وخاصة في مدن بيت ساحور وبيت لحم وبيت جالا، ولكثرة الشجرة في هذه المدن، فإن أبنائها قد اعتادوا على أن يصنعوا من أخشاب الزيتون التماثيل كالجمال والبيوت والصلبان والمسا بح، وقد كانت تباع في أسواق القدس للزوار القادمين من خارج البلاد تحفا وهدايا ولعب أطفال بأشكال مختلفة.
5. تطريز البيض: حيث أن المقدسيين مهرة في هذه الصناعة التطريزية، فكانت تثقب البيضة بإبرة رفيعة ويسحب صفارها وبياضها وتجفف قليلا، ثم يطرّز عليها وتوضع مناظر جميلة تباع في الأسواق للمواطنين أو الزوار للقدس.

6. جدل النخل: كانت صناعة جدل النخل من الصناعات اليدوية في القدس، حيث كانت تحضر أوراق النخيل ويصار إلى جدلها بأشكال جملة وتباع إلى المتسوقين حيث كانت تنسج بطريقة فنية لاسيما أيام الأعياد.
7. الصور النباتية: وهي عبارة عن قطع من الكرتون المصقول تحفها أزهار النباتات، وتلصق عليها حيث تعطي منظراً جميلاً وتعلق على جدران البيوت أو المحلات التجارية.
8. لكل ما تقدم فإننا نلاحظ أن جميع هذه الصناعات هي صناعات يدوية خفيفة، يمكن إشغال جميع أهل البيت فيها، ولهذا فإن المجتمع المقدسي كان مجتمعاً عاملاً بكل شرائحه رجالاً ونساءً وأطفالاً يقومون على توفير المال اللازم لحياتهم من عمل أيديهم.

ثالثا: التجارة

القدس بلد يهتم بالناحية التجارية حيث يعتمد السكان على مواردهم من هذا الباب، وبطبيعة الحال فإن بلداً كالقدس يعيش هذا الوضع السياحي، تعتبر التجارة من عصب حياته الأساسية، ولهذا فقد كثرت الحوانيت في القدس وانتشرت الأسواق بجميع أصنافها لتسويق السلع التجارية، وكون القدس قديماً على الطرق التجارية العالمية بين أقطار الشرق، فقد كانت تمر بها قوافل التجار من الشام والعراق ومصر وفارس وغيرها.

أما أسواقها التجارية فهي، سويقة علون وسوق اللحامين وسوق الحصر وسوق البازار والنحاسين والعطارين والباشورة والسوق التجاري فالأسواق في القدس عديدة، ومتنوعة لجميع الأصناف، سواء كان ذلك داخل أسوارها أم خارجها، وقد ازدهرت في العهود المتأخرة تجارة الأقمشة والأصواف وكان شارع صلاح الدين من أبرز الأسواق في هذه المواد.

علاوة على الأسواق، فقد كثرت في القدس المؤسسات التجارية والشركات والبنوك ووصلتها وسائل الحضارة الحديثة والتجارة الدولية كالاستيراد والتصدير والشحن وغير ذلك.

الفصل الثالث

المبحث الأول

القدس والاستيطان الصهيوني

المطلب الأول: تاريخ الإستيطان الصهيوني في القدس

"نشأت النواة الأولى لمدينة القدس على (تل أوفيل) المطل على قرية سلوان، حيث اختير هذا الموقع لأسباب أمنية، وساعدت عين سلوان في توفير المياه للسكان، وهجرت هذه النواة إلى مكان آخر هو(جبل يزيتا)ومرتفع موريا الذي تقع عليه قبة الصخرة المشرفة، وأحيطت المدينة بالأسوار، ثم بدأت بالتقلص حتى بنى السلطان العثماني (سليمان القانوني) السور الحالي محددا حدود القدس القديمة جغرافيا بعد أن كان سورها يمتد شمالا حتى وصل في مرحلة من المراحل إلى منطقة لمسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد) وفي عام 1863 م نشأت أول بلدية في القدس. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود، لتبدأ في رسم الحدود السياسية لمدينة القدس، ومن أجل هدف أيديولوجي أقيم حي (يمين موشيه) عام 1850م في منطقة جورة العناب ليكون نواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار باتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب، ثم أقيم حي (مئة شعاريم) في منطقة المصرارة، و(ماقور حاييم) المسكوبية في عام 1858م"[1]

المطلب الثاني: الفكر الغربي وأثره في الفكر الاستيطاني الصهيوني

بعد قيام الثورة الفرنسية في الغرب عام 1789 م نشأت في الغرب الأوروبي نزعة إلى التحرر التي نادت بتطبيقه في جميع نواحي الحياة ولجميع الشعوب والأمم، وكان من نتيجة بروز هذا الفكر الدعوة إلى تحطيم نظام "الجيتو" الصهيوني الذي كان يعيش فيه اليهود في أنحاء متفرقة من أوروبا

نظراً لأن المذهب البروتستاني يؤمن بالعهدين القديم(التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) وأن اليهود يستقون مبادئهم من العهد القديم (التوراة) فقد كان له أثر واضح في تعاليم البروتستانت الذين

(1) خوري،جريس سعد، عدنان مسلم، موسى درويش، القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية، ط1 القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراث في الأرض المقدسة، 1996م مقال، خليل التفكجي، ص 360.

ساندوا الفكر اليهودي، القائل بأنهم (شعب الله المختار) وأن فلسطين هي أرض الميعاد بالنسبة لهم، فعملوا على ترسيخ هذه الفكرة لدى هذه الطائفة ودعموا الفكر الصهيوني المنادي بهذه المبادئ.

التقت المصالح السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والمصالح المشتركة بين جميع الأطراف وصبت في مصلحة واحدة، ووجدت ضالتها في فلسطين، حيث كان الفكر الغربي منذ البدايات يعمل على تهويد فلسطين.

فرنسا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

حيث كانت فرنسا من أول الدول التي سعت إلى تحقيقه حيث وجه (نابليون بونابرت) نداءه الأول في تموز سنة 1798م لاستعمار الشرق، وليحول دون التمدد البريطاني في هذه البلاد، فقد حث اليهود على التوجه إلى القدس وإعادة بناء (هيكلهم المزعوم) حيث خاطبهم بتسميتهم (الورثة الشرعيين لفلسطين) لقاء التفافهم حوله ومساعدتهم له في غزو فلسطين، وبهذا تكون دعوة نابليون أول دعوة دقت باب الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

بريطانيا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

كان الصراع العسكري بين فرنسا وبريطانيا، ويحشد كل من هاتين الدولتين قواته صوب الشرق من أجل بسط نفوذه وسيطرته على فلسطين وتنفيذ أهداف ومخططاته الاستعمار.

كان يحول أمام بريطانيا في هذه الحقبة المطامع الفرنسية والألمانية في هذه البلاد، بيد أنها لجأت إلى ربط طموحاتها بطموحات وأحلام اليهود، فعملت على كسب ودهم وتمنيهم بفلسطين.

كان من أبرز المتشجعين لهذا المشروع (اللورد شافتزبري)1801م-1885م الذي نادى بإنشاء مستوطنات لليهود في فلسطين، وقدم مشروعاً بعنوان "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" وطالب الحكومة البريطانية بتبني إعادة اليهود على فلسطين معتمداً في أفكاره على ما جاء في التوراة.

أخذت الدول الاستعمارية في التسابق على فتح قنصليات لها في القدس، مدعية كل منها بحماية طائفة من طوائف النصارى، وفي عام 1838م أصدر الحكومة البريطانية مرسوماً تبنت فيه منح اليهود حق الحماية في فلسطين، على الرغم من المساعي الحثيثة التي قامت بها بريطانيا مع الحكومة العثمانية، لإقناعها بضرورة السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين، للاستفادة من ثرواتهم المالية، بيد أن الحكومة العثمانية رفضت هذا العرض.

ألمانيا والاستيطان اليهودي:

سعت ألمانيا عندما قدم ملك بروسيا (ويلهلم الثالث) سنة 1840م مبادرة لوضع فلسطين تحت الحماية البروسية، لكنها فشلت بسبب رفض المستشار النمساوي مترنيخ لهذه المبادرة، وتم فتح أول قنصلية لبروسيا في القدس سنة 1840م ومنحت الحماية لكل يهودي يريد اللجوء إليها.

أمريكا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

لعبت أمريكا دوراً هاماً في تشجيع الحركة الصهيونية للاستيطان في فلسطين، وكان على رأس هذه الحملة (وليم بلاكستون) الذي كان متعصباً للفكرة الصهيونية المنادية بجعل فلسطين، وكنا لليهود، ونشط في هذا المضمار بالكتابات هو وغيره من القادة الأمريكيين الذين كانوا ينادون بجعل فلسطين وطناً لليهود.

علاوة على الدول الاستعمارية الغربية التي كانت تعمل جادة على منح اليهود حق الاستيطان في فلسطين، نشط اليهود في هذا الاتجاه كونهم وجدوا ضالتهم، وتوفرت لهم الأجواء المناسبة في الغرب، فشكلوا المؤسسات والجمعيات التي أخذت تنادي وتعمل ليل نهار بجميع الإمكانيات المادية والإعلامية على إنشاء وطن لليهود في فلسطين وتشجيع الهجرة إلى هذه البلاد، فتم تأسيس جمعية الأليانس (التحالف اليهودي العالمي سنة 1860م وجمعية الاستيطان اليهودي التي أخذت تنشر الوعي بين اليهود خاصة في الشرق الأوسط لتثقيف اليهود على التوجه إلى فلسطين، كما نشأت جمعية البيلو وجمعية أحباء

صهيون وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الصهيونية في أنحاء العالم من أجل إقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين وما زال العمل جاريا حتى أيامنا هذه.

في عام 1897م برزت الفكرة الصهيونية التي عقدت مؤتمرها في بال بسويسرا، حيث ظهر الزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل، وقد اجتمع في هذا المؤتمر حوالي 200 شخصية صهيونية من أرجاء الدنيا، ودعا صراحة إلى إقامة وطن لليهود في فلسطين، وقد تم إنشاء "صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار" الذي يهدف إلى دعم مشاريع الهجرة والاستيطان في فلسطين، وجاء بعد إنشاء هذا الصندوق، إنشاء العديد من الصناديق والمؤسسات الصهيونية الداعمة إلى نفس الفكرة.

التواجد اليهودي في فلسطين في العهد العثماني:

لقد بدأ التوجه اليهودي إلى فلسطين في مراحل متقدمة، ويجدر بنا هنا ألا نتجاوز العهد العثماني الذي بدأت فيه بذرة التواجد اليهودي، وأخذت تنمو رويداً رويداً مع توفر جميع الظروف البيئية لها، والعدم بل والعمل الصهيوني لإنجاح هذا المشروع الذي واصل تقدمه مستغلا الانهيار السحيق للدولة العثمانية الذي واكب الصعود المتنامي للاستعمار الغربي، الذي تبنّى الفكر والأيدلوجية الصهيونية.

فمنذ القرن الثاني للميلاد كان عدد اليهود ضئيلا في فلسطين، وكانت أوضاعهم الاجتماعية واقتصادية متفاوتة في فلسطين وكانوا،كما هو معهود، يعيشون في جيتوهات لا يشدهم إلى فلسطين سوى ذكرياتهم التي ورثوها، فيفدون إلى القدس كزوار أو حجاج يؤدون بعضا من شعائرهم ويعودون من حيث أتوا.

لم يجد اليهود على مدى تاريخهم الرحمة والكرامة تحت أي نظام تعايشوا معه، كما تحقق لهم ذلك في عهد الخلافات والأنظمة الإسلامية، وهذه حقيقة يعترف بها قادتهم.

تحرر اليهود من الاضطهاد تحت نظام الإسلام، فكانت المرحلة الأولى في عهد الرسول الكريم (ﷺ) عندما دخل المدينة المنورة وكتب الصحيفة واعترف بهم أمه، أما المرحلة التالية فكانت تحت النظام الإسلامي بعد الفتح العمري لبيت المقدس وخلافة المسلمين الذين تعاقبوا عليها كالأمويين والعباسيين واعتبارهم أهل ذمة، أما المرحلة التالية فكانت في عهد صلاح الدين بعد أن حرر البلاد من الصليبيين، واستمر هذا النهج حتى العهد العثماني.

ففي عام 1856م صدر القانون العثماني الذي أعطى الطوائف التابعة للرعية العثمانية الحق في الحياة الطائفية المستقلة الدينية والقضائية....

في عام 1827 م زار (السير موسى مونتفيوري) فلسطين فوجد فيها حوالي 500 يهودي فقط يعيشون أوضاع اقتصادية بائسة، فطلب من الباب العالي في اسطنبول السماح له ببناء سبعة وعشرين كوخاً في الجانب الغربي الجنوبي لمدينة القدس لإيواء هؤلاء التعساء.

في عام 1881 م سمحت السلطات العثمانية لليهود بالهجرة إلى أجزاء من الإمبراطورية العثمانية، باستثناء فلسطين شريطة أن يتخلى هؤلاء عن تبعيتهم للدولة التي كانوا يعيشون فيها. ففتح باب الهجرة لهم وانضووا تحت ألوية القنصليات الغربية التي احتضنتهم.

ازداد التدفق اليهودي صوب فلسطين، تحت حجج وذرائع مختلفة ووجدوا لهم الأرضية المناسبة والحماية الرعوية من قبل قنصليات الدول الغربية، إلى أن أصبحت الحركة الصهيونية تدعو بأعلى صوتها إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد أن قام (هرتسل) بعرض طلباته على السلطان عبد الحميد، ورفض السلطان هذه الطلبات، فتم عقد مؤتمر بال في سويسرا عام 1897 م واتخذت الهجرة اليهودية في هذا العهد الطابع السياسي المتدفق، فكان أكبر الهجرات اليهودية إلى فلسطين الهجرة الأولى بين عام 1882 م – 1904 م والهجرة اليهودية الثانية 1905 م – 1914 م وهاتان الهجرتان تعتبران التوطئة الكبرى للهجرات اليهودية إلى هذه البلاد فيما بعد !. اللتان تبعها وعد بلفور المشئوم 1917م الذي اعترف بحق اليهود بتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين.

إن التواجد اليهودي في فلسطين في هذه الفترة، لم يكن بإرادة الحكومة التركية آنذاك، بل أن الأحداث والوقائع هي التي هيئت للهجرة وللتواجد اليهودي في هذه البلاد.

المستعمرات اليهودية في فلسطين في هذه الفترة

أنشأت جمعية الألبانس اليهودية أول مستعمرة لها عام 1870، وأنشأت اليوشفين 20 مستعمرة زراعية سكنها 720 عائلة يهودية وكان عدد سكانها حوالي 6000 نسمه.

"ذكر جاسترو في كتابه، الذي نشره نفي عام 1919م أنه يوجد حالياً أربعون مستعمرة يسكنها عشرة آلاف نسمه، ولما كان جاسترو يقول إن عدد السكان اليهود 80000 نسمه فالنسبة لسكان المستعمرات لدية تبلغ 5و12 ٪.

إن نسبة ما تملكّه اليهود حتى الحرب الكبرى، وبالتالي حتى وعد بلفور (إذ لم تكن هناك عمليات بيع أ وشراء للأراضي في الحرب) لا تبلغ أكثر من 5و1 ٪ من مجموع أراضي فلسطين. وما دامت الأراضي المستغلة للزراعة تبلغ نصف ما تملك اليهود، فهذا يدل على أنهم كانوا يزرعون أقل من 1٪ من مساحة فلسطين.[1] فما ينطبق على فلسطين ينطبق على القدس.

(1) بيان نويهض الحوت، سبق ذكره، ص 411..

المطلب الثالث: القدس في الفكر الصهيوني

شكلّت النصوص التوراتية في الفكر الصهيوني الأساس، إلى تبني المقولة (الحق التاريخي)، وأرض الميعاد، وان الله قد أعطاهم أرض فلسطين، والقدس معتمدين على المقولة الشائعة بينهم(بشعب الله المختار) معتمدين على بعض النصوص التوراتية، التي خلقت وهماً عقدياً في أفكارهم، ومن الجدير بالذكر أن اليهود قد أشربوا التغني بالقدس كثيراً واعتمدوا في مقولتهم الموروثة "شلت يميني إن نسيتك يا أورشليم" سواء كان ذلك في صلواتهم، أو ختان أطفالهم، أو في خلواتهم، وقد أصبح هذا القول هاجسهم، حتى زعماء اليهود تبنوا هذا الفكر، وأخذوا يرددونه على ألسنتهم، حيث يقول بن غور يون أو رئيس دولة لإسرائيل "لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل". ومن هذا المنطلق فإن الفكر الصهيوني يسعى على السيطرة على القدس أولاً، وعلى إعادة بناء الهيكل (لا قدر الله) مكان المسجد الأقصى المبارك، وهم يعملون ليل نهار على إنجاز هذا المشروع ويعدون العدة لهذه الغاية، وها هم اليوم قد استطاعوا بكل مكر ودهاء من احتلال بقية القدس، وبدأوا ينفذون فعلا مخططاتهم على أرض الواقع ووصلوا إلى مرحلة متقدمة، كل ذلك والتقاعس العربي والخذلان الإسلامي والدعم الغربي وعلى رأسه أمريكا يعملون ليل نهار على تنفيذ مخططاتهم التي لا قدر الله لها أن تحدث.

المطلب الرابع: مراحل الاستيطان اليهودي في القدس

لم يكن ارتباط اليهود بفلسطين حتى مطلع القرن التاسع عشر سوى ارتباط ديني أو عاطفي سيما في الأماكن المقدسة، ولم يكن توجههم إلى هذه البلاد له أثر في نفوس جميع أبناء الطائفة اليهودية في العالم، إذ لم يزد عدد اليهود حتى القرن التاسع عشر يزيد عن ألفي نسمه.

إن الذي غذى فكرة هجرة اليهود إلى فلسطين هي الدول الاستعمارية الطامعة في أملاك الدولة العثمانية (الرجل المريض) حسب تعبيرهم، حيث سارعت هذه الدول مع بزوغ الثورة الصناعية والتفتح على مصادر المواد الخام خاصة البترول في الشرق العربي، فقد وجدت هذه الدول ضالتها في الكيان اليهودي، الذي يمكنه أن يحافظ على المصالح الاستعمارية لتكون لهم دولة تمثل رأس الحربة في جسم الوطن العربي الكبير، كما قامت هذه الدول بفتح القنصليات في القدس وأشرفت هذه القنصليات على رعاية العنصر اليهودي في هذه البلاد،وقد مر الاستيطان اليهودي في القدس على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام 1917 م.

يعود تاريخ هذه المرحلة إلى عهد حكم إبراهيم بن محمد علي باشا لفلسطين عام 1831م-1840م، حيث عملت الحكومتان الاستعماريتان فرنسا وبريطانيا على تشجيع الهجرة اليهودية

والاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد تعدى هذا الشأن إلى مرحلة استئجار 200 قرية من قرى الجليل لليهود لتأهيل هذه القرى للزراعة الحديث.

فكما ورد سابقا بأن السير موسى منتفيوري طلب من السلطات العثمانية شراء قطعة ارض غرب جنوب المدينة المقدسة لإيواء بعضا من اليهود البائسين فيها، وتم مله ذلك، فكان أول حي يهودي في القدس سمي بحي (مشكانوت شنائم).

أقيم فيما بعد أحياء استيطانية يهودية خارج أسوار القدس مثل (معسكر إسرائيل) عام 1867 م... توالت الأحياء اليهودية في الازدياد سنة تلو أخرى، وامتدت هذه الأحياء اليهودية الاستيطانية من الجهة الشمالية والشمالية الغربية للقدس.

أدرك أبناء القدس خطورة الوضع حيث تقدموا بشكوى إلى الصدر الأعظم في الآستانة عام 1891م "يعبرون في هذه الشكوى عن تخوفهم من وصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود، ويطالبون بمنع اليهود من الدخول إلى فلسطين، وقد تجاوبت الآستانة مع مطالب أبناء بيت المقدس فأمرت متصرف القدس بمنع تسرب الأراضي الأميرية، وعدم بيع الأراضي في متصرفية القدس لليهود.

بعد انعقاد مؤتمر بال في سويسرا عام 1897م، تضاعفت جهود اليهود في تأسيس المؤسسات المالية، وبنوك وصناديق جمع التبرعات لصالح الحركة الصهيونية، فبعدما كانت أملاك اليهود خارج القدس 694 دونما عام 1860 م أصبحت 4130 دونما عام 1918م. بعد أن تم ضم المستوطنات خارج السور إلى بلدية القدس، المرحلة الثانية، من 1918م حتى نهاية الحكم البريطاني لفلسطين.

على إثر دخول القوات البريطانية القدس عام 1917م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان للحكومة البريطاني أكبر الأثر في تشجيع الهجرة اليهودية والاستيطان إلى هذه البلاد، فبمجرد دخول الجنرال البريطاني (أللنبي) القدس، طلب من مهندس الإسكندرية "مالكين" الحضور إلى القدس فقسم المدينة إلى أربعة مناطق، البلدة القديمة وأسوارها، المنطقة المحيطة بالبلدة القديمة، والقدس الشرقية، والقدس والغربية.

أما المخطط الثاني لحدود بلدية القدس فقد وضع في عام 1946 م بقصد توسيع منطقة خدماتها، غير أن التوسع تركز أيضاً على القسم الغربي حتى يمكن استيعاب وضم الأحياء اليهودية الجديدة، التي بقيت خارج منطقة التنظيم لعام 1931م وفي الجزء الشرقي،أضيفت قرية سلوان من الناحية الجنوبية، ووادي الجوز، وبلغت مساحة المخطط 119، 20 دونما توزعت ملكية أراضيها كما يلي:

1	أملاك عربية	٪40
2	أملاك يهودية	12و26٪
3	أملاك مسيحية	86و13 ٪
4	أملاك حكومية وبلدية	9و2٪
5	طرق وسكك حديدية	12و17٪
	المجموع	٪100 ([1])

اعتبرت الحكومة البريطانية أن القدس الغربية هي منطقة تطوير، فلم يسمح بالبناء خارج أسوار القدس، بينما كانت سخية في منح اليهود ألف دونم من أراضي مدينة القدس، وفي مدينة القدس (ضمن حدود البلدية في ذلك الوقت) ازداد عدد السكان اليهود ممن 34100 إلى 53800 نسمه، كما تم إنشاء عدد من المستوطنات الزراعية حول القدس الكيبوتسات.

كان من أهم العوامل التي شجعت تدفق الاستيطان اليهودي في القدس في هذه الحقبة، هو وعد بلفور الذي أعطى امتيازات هائلة لليهود في هذه البلاد، ولم تخرج بريطانيا من هذه البلاد عام 1948م، إلا بعد أن تم تأمين الكيان اليهودي بشكل كامل أرضاً وشعباً وحكومةً.

وفي المحصلة فإنه يجدر بي أن أجمل أهداف الوجود البريطاني في فلسطين كما أورده الدكتور 0أحمد العلمي9 في كتابه "الاجتياح البريطاني لفلسطين".

" مما لاشك فيه أن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال بكل ما تحمله الكلمة من معانى. فشعب فلسطين لم يطلب من بريطانيا الحضور ولا بريطانيا جاءت إلى المنطقة بدوافع إنسانية أو خدمة للعدالة، إن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال أجنبي للبلاد بكل قسوته وظلمه.

إن الذي اتفق مع بريطانيا هو الشريف حسين شريف مكة، فهو الذي أراد استقلال العرب عن الحكم التركي، واستبداله بملكية له ولأسرته فيما بعد، وقد حصل الاتفاق مع بريطانيا عبر مراسلات ولقاءات يقوم بموجب ذلك العرب بمساعدة القوات البريطانية في دحر الوجود التركي.

أما مصالح بريطانيا في هذه الاتفاقية، فقد كان يتعدى مضمون الحرب العالمية الأولى، فتركيا كانت متحالفة مع الألمان، ودحر تركيا سوف يقلل من القوة العسكرية المواجهة للحلفاء، وإخراج تركيا من الحرب سيؤدي إلى أن تنفرد المانيا بالحرب، وبذلك يتم تطويقها والقضاء عليها.

(1) جريس خوري وآخرون، مصدر سابق، ص 361.

وفيما عدا رغبة بريطانيا في إخراج تركيا من الحرب كانت لها أطماع أخرى، فالمراسلات التي كانت قائمة بينها وبين الشريف حسين أعطته وعودا زائفة كانت بريطانيا تخفي وراءها أطماع أخرى.

لم تكتف المخططات البريطانية، بذلك بل راحت لتسلخ فلسطين عن العالم العربي وتهيئ البلاد للاستيطان اليهودي، فخلال المباحثات أيضا مع الشريف حسين، أعطت بريطانيا وعد بلفور الذي ينص على إنشاء كيان لليهود في فلسطين.[1]

(1) أحمد العلمي، سبق ذكره ص 172..

obeikandl.com

الفصل الرابع

المبحث الأول

القدس في العهد الأردني

اتضح من الفصل السابق أن هناك تزاوجاً بين هذه الدول الإمبريالية بريطانيا وفرنسا وأمريكا من جهة، وبين الصهيونية من جهة أخرى، وقد تكللت معالم ذلك التزاوج خلال المدة 1797م – 1897م.

وعندما اطمأنّ الانتداب البريطاني على فلسطين، أن التزاوج الإمبريالي الصهيوني سينتج خليفة له، يقوم بدوره في المنطقة أعلن عن إنهاء انتدابه على فلسطين يوم 15أيار 1948م. وفي نفس اليوم أعلن اليهود عن ميلاد دولتهم في فلسطين، وكانت أمريكا تتابع تطور الكيان الصهيوني وهو في رحم الإمبريالية لحظة بلحظة، ولذلك اعترفت بميلاد دولة إسرائيل بعد عشر دقائق من الإعلان عن قيامها، وتبعتها الدول الإمبريالية الأخرى واعترفت بها خلال أيام.

وذكر نص إعلان قيام إسرائيل أن اليهود يستندون في ذلك إلى "حقوقهم التاريخية، ووعد بلفور، وصك الانتداب وصك عصبة الأمم وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود عام 1947م وأن دولة إسرائيل ستتعاون مع الأمم المتحدة، وأنها تمد أيديها إلى جميع الدول المجاورة وشعوبها عارضة السلام."[1]

لم يكن الوداع بين أهل فلسطين والمحتل البريطاني ممزوجاً بدموع الفرح، بل كان رحيلاً ملؤه الغيظ والحقد الذي خلّفه المحتل البغيض، الذي أمضى قرابة ثلاثة عقود في ديار فلسطين.

خرج المحتل البريطاني من فلسطين، بعد أن ضيّع البلاد وطرد العباد، وكللها بوشاح السواد، تركها هذا المستعمر اللئيم الذي خان الوعود، وخرق العهود، نهباً للمحتل الصهيوني الذي اطمأن إليه، بأنه أسس أول كيان له في فلسطين، بعد أن جمع شتاته من أنحاء الدنيا على حساب شعبها، الذي تشتت يفترش الغبراء ويلتحف السماء.

جاء هذا الإجراء الذي يعتبر وصمة عار في جبين المحتل البريطاني على مدى التاريخ، والذي لن يغفر له مهما طال الزمن لأنه (أعطى أرضا لشعب، لشعب بلا أرض) وعمل على تجريد امةً كاملةً من جميع حقوقها الإنسانية والبشرية التي وهبها لها الله (سبحانه وتعالى). إذن فما هو القصد من هذا الإجراء الذي لا يمت إلى الإنسانية بشيء والذي يعتبر تحدياً سافراً لحقوق البشرية والإنسانية جمعاء !؟.

---

(1) ألنموره، محمود، الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية، مطبعة بابل الفنية، حلحول، ط2 ص 104.

حقا لقد جرى ما جرى في فلسطين، فكان تجسيدا مباشراً لوعد بلفور الصهيوني اللئيم، الذي صدر عام 1917م والذي ينص على منح اليهود وطناً قومياً لهم في فلسطين.

عملت بريطانيا خلال مدة انتدابها اللعين، باتجاهين مختلفين في هذه البلاد، فقامت بالإجراءات التالية خلال فترة حكمها الظالم لفلسطين، والذي لم تشهد البشرية لها يوماً أسود منه كما فعلت بريطانيا، وقد عملت بريطانيا في فلسطين على النحو التالي.

أولا: فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه لزج آلاف اليهود القادمين من شتات الأرض، في فلسطين على حساب شعبها الوادع فيها منذ آلاف السنين. وبالمقابل عملت بريطانيا على تهجير الشعب الفلسطيني من دياره وترحيله خارج وطنه بجميع الوسائل.

أولا: الدعم المادي والمعنوي اللامتناهي للصهاينة اليهود.

ثانيا: قتل الروح المادية والمعنوية لدى الشعب الفلسطيني.

ثالثا: تطوير الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لليهود.

رابعا: تدمير البنية التحتية للشعب الفلسطيني اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

خامسا: عملت بريطانيا على دعم اليهود بالسلاح المتطور وتدريبهم على استعمال الأسلحة الحديثة، في الوقت الذي سحبت جميع أنواع الأسلحة من الشعب الفلسطيني، وحرمت عليه حتى حمل السكين أو التعرف على أي نوع من أنواع السلاح، بل تعدى الأمر ذلك إلى أن أوقفته بكل قدراتها العسكرية، فعملت على زج الآلاف من أبناء هذا الشعب في غياهب السجون، ونفي الآخرين وتجريدهم من رفع أصواتهم وتجهيلهم وسحق هذا الشعب بلا هوادة.

كانت القدس ضمن هذا المخطط الإجرامي الذي نفذته الحكومة المستعمرة البريطانية في هذه البلاد، بيد أن أبناء القدس قد حملوا السلاح وحصلوا عليه بواسطة التهريب، لمقاومة كلا المحتلين البريطاني والصهيوني ولم يتوانوا يوماً واحداً في الدفاع عن وطنهم وسقط منهم الآلاف دفاعا عن حياض القدس والوطن الكريم.

فعندما احتلت الدول الكبرى بلاد الشرق العربي، وقامت تقسيمه في معاهدة سيكس بيكو كانت فلسطين نصيب بريطانيا، ولم توضع رهينة تحت أي نظام عربي، فكان الخطأ الأكبر على إثر إعلان الكيان الصهيوني هو عدم إعلان دولة فلسطينية في فلسطين على غزارها.

يعلل الباحث الأستاذ (محمود طلب النموره) في كتابه "الجريمة أمريكية وفلسطين الضحية" بما يلي.

"كان من المفروض أن تعلن الدول العربية وجامعتها قيام دولة فلسطين عام 1948م، استناداً لحق الفلسطينيين الطبيعي، وإلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181لعام 1947م ولكن الدول العربية

التي كانت تحت وصاية الدول الغربية العظمى، لم تكتف بعدم إعلان قيام دولة فلسطين، بل قاومت الفكرة، ووضعت كل العراقيل في طريق قيامها حتى أحبطتها"

فلست بحاجة إلى التفاصيل التي أودت بالشعب الفلسطيني، إلى ما وصل إليه سواء على الصعيد العربي الذي تخاذل عن نصرة القضية الفلسطينية، ولم يؤد واجبه الأخوي العربي والديني والإنساني، فأخذت الأنظمة العربية تعقد المؤتمرات إلى أن وصل الأمر بالضفة الغربية، إلى ضمها إلى الضفة الشرقية سياسياً وإدارياً، وأننا في غنى في هذا الموقف عن تتبع الأمور بمجرياتها ولكن لمن أراد أن يستزيد فعليه بالمصادر المختصة بهذا الشأن، لكن ما يهمنا في بحثنا هذا هو القدس وما آلت إليه.

المطلب الأول: ابرز الأحداث العسكرية التي وقعت في القدس بعد انسحاب المحتل البريطاني من القدس

أما بالنسبة إلى تطور الأحداث العسكرية التي جرت في ساحات القدس، فكان خير شاهد وابرز دليل ما ورد على لسان قائد معركة القدس، المجاهد (عبد الله التل) في كتابه كارثة فلسطين. حيث بيّن فيه جميع التفصيلات لمن أراد أن يستزيد، وفيه الخبايا والدسائس والمؤامرات التي أوصلت القدس إلى ما وصلت إليه حيث كان القائد العام للجيش العربي جلوب البريطاني الذي كان ينفذ سياسة حكومته فقد فلت من عقاله هذا القائد العربي الفذ الذي أبلى بلاء حسنا في معارك القدس.

المطلب الثاني: تعاون القوات العربية وتعيين عبد الله التل قائداً عاماً لها في القدس

تم تعيين المجاهد عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة قائداً عاماً للجيوش التي تحارب في جبهة القدس الشريف، بحيث كان هذا الشاب يمتلئ عزيمة وقوة وشجاعة، تؤهله لخوض المعارك الحاسمة في هذه الجبهة، لما كان لديه من تجارب سابقة في هذا الميدان، فجعل في كل مركز به جنود من الجيش العربي، مفرزة من جيش الإنقاذ أو الجهاد المقدس، لتساعد الجنود في كل شيء، ولاسيما أن المناضلين من جيش الإنقاذ ومن الجهاد المقدس، والشرطة قد سبقوه في التعرف على المواقع، ومقاصد اليهود ونواياهم، وكان لأولئك المجاهدين الفضل في صد اليهود عن أسوار مدينة القدس، حتى ساعة وصوله بمن معه من الجند، حيث أظهر المقاومون بطولة فائقة، وقاوموا لآخر رصاصة، ولم يهربوا أو يتركوا المدينة من أول هجوم يهودي كما جرى في غير القدس.

تواصل القتال مع اليهود، وقد ضيق عليهم الخناق، ولاسيما داخل أسوار مدينة القدس، وقد تجمعوا في كنيس اليهود أي في الكنيس المعروف لديهم باسم قدس الأقداس، وأصبح اليهود في وضع لا يحسدون عليه، فقد انقطعت عنهم الإمدادات الخارجية، وضاق بهم الحال ذرعاً وأصبحوا تحت مرمى نيران المجاهدين، وسقط الحي اليهودي بعد أن ضيق الجنود والمناضلون عليهم الخناق، ولم تبزغ شمس

الجمعة 28/ 5/ 1948م حتى بدا الحي اليهودي وكأنه مغطى بسحابة سوداء، هي سحابة الموت وظللها الدمار والخراب والكآبة ، وفي تمام الساعة العاشرة شاهد الجنود شخصين من رجال الدين اليهود يتقدمان نحوهم ويرفعان العلم الأبيض، حيث أنهما المسئولان عن يهود القدس، حيث عرضا أمر التسليم، وتم تسليم السلاح والذخائر التي مع اليهود، وتم أخذ المحاربين والقادرين على حمل السلاح أسرى حرب، وتم تسليم الجرحى والأطفال والنساء والعجزة إلى الصليب الأحمر الذي قام بدوره بتسليمهم إلى اليهود.

كانت هذه اللحظات خالدة في جبين الأمة العربية، لما حققته من إنجازات عسكرية لو أتيحت الفرصة لهؤلاء الأبطال لأبلوا بلاءً حسناً ولتغير كل شيء.

وقد قتل من اليهود أعداد كبيرة في هذه المعركة،وتم أسر الباقين وعددهم 340 أسيرا صهيونياً وتم نقلهم إلى عمان.

المطلب الثالث: ملاحظات هامة على معركة القدس القديمة

فقد أورد القائد (عبد الله التل)قائد معركة القدس، ملاحظات هامة عن هذه المعركة الحاسمة في كتابه "كارثة فلسطين" وهو الأعلم بخبايا الأمور والنتائج التي وصلت إليها الأحداث، ومن هذه الملاحظات على هذه المعارك "على حد تعبيره" ما يلي:

1. "كانت تلك المعركة من أهم المعارك التي خاضتها الجيوش العربية في حرب فلسطين لأنها أتت بنصر تاريخي لا تنمحي آثاره، فقد كانت السبب في بقاء القدس القديمة وما جاورها من الأحياء في يد العرب.
2. قتل في تلك المعركة ما يزيد على 300 يهودي من المحاربين المتعصبين بينهم 136 من عصابة الأرغون، وجرح 80 وجدوا في المستشفيات وكانت جراح نصفهم خطيرة.
3. أسر 340 وهو العدد المماثل لما أخذ من مستعمرة كفار عصيون، وبذا يكون جميع الأسرى اليهود لدى الجيش العربي، وهم المجموعة الوحيدة لدى الجيوش العربية قد أخذوا في معركتين فقط هما كفار عصيون والقدس.
4. دمر الحي اليهودي ولم يبق فيه مكان إلا أصيب بأضرار فادحة مما يجعل عودة اليهود إليه أمراً مستحيلاً.
5. طهرت القدس المقدسة من اليهود، ولم يبق بها يهودي واحد، وذلك لأول مرة منذ أكثر من ألف عام.

6. ظهر أن اليهود المتعصبين يقاومون كثيراً ويحسنون الدفاع، صبر يهود القدس القديمة صبراً شديداً واحتملوا مرارة الحرب إلى درجة لا تطاق.
7. ثبت أن معاملة قائد المعركة (عبد الله التل) كانت معاملة حسنة لليهود عند التسليم وعدم ذبحهم، كما كان يرغب بعض المتحمسين العرب كانت في محلها، وماذا يكون الفرق لو قلد العرب ما كان يعمله اليهود حينما كانوا يستولون على العرب.
8. وكيف كانت النتيجة عندما احتل اليهود اللد والرملة لو اقترف العرب كما اقترفوه في هاتين المدينتين.
9. حطمت تلك المعركة وما أنتجته من نصر ساحق كبرياء اليهود وأذلتهم إذلالاً كبيراً
10. وأدخلت الرهبة والرعب في قلوبهم، إلى حين، لأنهم توقعوا لمئة ألف يهودي في القدس الجديدة نفس المصير الذي لاقاه إخوانهم في القدس القديمة، وقد اعتبرت تلك الهزيمة أكبر ضربة لليهود وخاصة من الناحية المعنوية إذ أبعدتهم عن حائط البراق وعن الحي اليهودي لأول مرة منذ خمسة عشر قرنا.
11. حققت تلك المعركة ثلثي أسباب النصر في القدس، كلها لولا السياسة العليا التي رسمه الإنجليز ونفذها كلوب بحذافيرها، تلك السياسة التي حالت دون وضع خطة موحدة معينة لاحتلال القدس، وأصرت على ترك هذا القائد وحيداً في الميدان يقاتل في ظروف صعبة جدا.
12. رفعت تلك المعركة معنويات العرب كافة في كافة الأقطار العربية إلى مستوى أعلى، وأذاقت الجيش العربي طعم النصر، فاشتدت العزائم وشحذت الهمم، ولكن دون جدوى، لأن العوامل التي سيرت الحرب وراء الستار بأمر (جلوب الإنجليزي) كانت تهدف إلى إرخاء العزائم وقتل الهمم.
13. وأتت الفرصة – نتيجة تلك المعركة – الملك عبد الله (رحمه الله) ولكنه لم يهتبلها فقد أحبته الشعوب العربية المتعطشة للانتقام، وتغنت باسمه،.؟. فأضاع الفرصة وخسر كل شيء بعد أن ظهر للشعوب الحقيقة ؟!
14. تعرف الجيش العربي في هذه المعركة بأسلحة اليهود وأغلبها من الرشاشات والبنادق الألمانية، وبها قليل من البرنات الإنجليزية، وقد وزعت الغنائم على الجنود بموافقة الملك عبد الله وخاصة البنادق الألمانية التي لا يستعملها الجيش العربي، كما زودت فرقة التدمير بالرشاشات الألمانية والرشاشات الستن. وزاد ما صودر من اليهود على 60 قطعة بعد أن استطاعوا إتلاف بعض أسلحتهم وإخفائها في أحد آبار الحي قبل التسليم، أما الذخيرة فلم يعثر لديهم على كمية ذات شأن، وقد كان بإمكانهم إخفائها في الأقبية والسراديب.

15. كان لهذه المعركة الخطيرة نتائج بعيدة المدى، فقد حفظت القدس عربية وجعلت منها من الوجهة الحربية دعامة للجناحين، الجناح الأيمن وهو نابلس والجناح الأيسر وهو منطقة الخليل. ولولا معركة القدس القديمة لما بقيت الضفة الغربية بأيدي العرب إذ لو أن القلب وهو القدس سقط ـ لا سمح الله ـ فإن اليهود ينزلون إلى أريحا في وادي الأردن ويقطعون اتصال الأردن بالضفة الغربية وتنهار الجبهة كلها.

16. كانت الخسائر العربية في معركة الحي اليهودي طفيفة جدا فقد بلغت 14 شهيدا من جنود الجيش العربي وعشرة مناضلين، أما الجرحى فقد كانوا 25 جنديا "[1]

ولا يفوتنا في هذا المجال من عرض الأحداث البارزة في هذا الصدد.

1- استمر قصف المدافع وتبادل النيران في 16/ 17 أيا ر من عام 1948م بين العرب واليهود. وقد قام اليهود بهجومين كبيرين على باب الخليل، بقصد رفع الحصار عن اليهود المحصورين في البلدة القديمة، وفي الهجوم الثاني سقطت قنبلتان من قنابل المورتر اليهودية في أرض الحرم وأخريان عند باب الأسباط. إلا أن العرب رغم قلة عددهم وعُددهم تمكنوا من صد هذين الهجومين الكبيرين، ومن ناحية هذه المعارك فقد أصبح عدد كبير من البنادق التي استعملها المناضلون في حالة لا تصلح للاستعمال، وأخذ التعب من المناضلين مأخذه، وألَمَّ بهم خور شديد وضنك من جراء القتال والسهر المتواصل، في الأيام الثلاثة المنصرمة، والأيام التي سبقتها فكنت تراهم يركضون من باب إلى باب، يردون عن مدينتهم كيد الأعداء فأنى لهم الراحة والخطر جاثم على الأبواب.

2- في 18 أيار وبعده أخذ اليهود يحتلون أجزاء كبيرة من القدس، فأتموا الاستيلاء على القطمون والبقعة والطالبية والنبي داود وحي الثوري وغيرها كما كانوا قد احتلوا محطة سكة الحديد ومستشفى العيون والمسكوبية ودار مصلحة البريد والبرق المركزية والنوتردام. وبكلمة أخرى كانوا قد استولوا على معظم البنايات والمرتفعات ذات الأهمية الإستراتيجية. وقد تم لهم ذلك في البرهة الواقعة بين 14 من أيار والثامن عشر منه. ومن أهم الأسباب التي أدت على سقوطها: قلة الذخيرة والسلاح وفقدان القيادة الحاسمة وانهيار معنويات السكان وفقدان التوجيه الصحيح.

3- تنفست القدس الصعداء عندما بدأ الجيش الأردني يتقدم نحو مدينتهم في 18/ 5/ 1948م (وكان ذلك بقيادة المجاهد عبد الله التل).

---

(1) عبد الله التل، مصدر سبق ذكره، ص 140 .

وفي صباح 20 أيار أخذ الجيش العربي هذا بمهاجمة الحي اليهودي المحصور في البلدة القديمة ومعه الكثير من شبان القدس ومجاهديها وغيرهم. وفي الساعة العاشرة من صباح 28/ أيار 1948م جاء اثنان من حاخامي اليهود يحملان علما أبيضا علامة الاستسلام. فدخل العرب الحي بعد أن قتل وجرح خلق كثير من اليهود. وكان من الجرحى قائدهم ووقع 1249 أسيرا يهوديا أطلق سراح913 منهم وهم الشيوخ والأطفال والنساء غير المحاربات. وبينما كانت المعارك دائرة داخل السور، استمرت المعارك خارج الأسوار مستهدفة استرجاع ما فقد، إلا أن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل.

4- في الأيام العشرة الأولى من حزيران كان الطرفان العربي واليهودي، يتبادلان قصف المدافع. وفي أثنائها سقطت قذيفتان في ساحة الحرم الشريف وأصيبت قبة كنيسة القيامة بما سقط عليها وعلى غيرها من الأديرة والكنائس من قنابل. وظلت الأحياء اليهودية في المدينة الجديدة محصورة من كل جانب لا يصلها الماء ولا المؤن ولا الرجال، واشتد كرب هذه الأحياء من جراء قلة المؤن والماء فوصل إلى درجة لا تطاق فقد فشلت المحاولات التي قام بها اليهود في إمرار القافلة، عن طريق باب الواد، لتزود المحصورين بالمؤن والرجال.

أخذ العرب يقصفون الأحياء اليهودية وفي كل مكان وجدوا فيه بمدافعهم التي كانت تصيب الهدف بشكل يدعو إلى الارتياح، فأخذت الحرائق تشتعل في البيوت والشوارع. حتى قال أحد اليهود "ليس في الأحياء اليهودية في القدس بيت واحد لم يصب برصاصة أو بشظية من قنابل المدافع العربية، وكانت ضحايا اليهود المدنيين قبل عقد الهدنة بمعدل 20 شخصا يوميا. وكان بين قتل اليهود قائد الجيش الإسرائيلي في القدس الكولونيل ماركس الأمريكي. ولما قتل في حزيران 1948م خلفه في القيادة الكولونيل موشيه ديان.

5- إن سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة وفشل اليهود في رفع الحصار الذي فرضه العرب على الأحياء اليهودية في القدس والخسائر الجسيمة التي تكبدوها في باب الواد وغيره، دعاهم يتلمسون جميع الطرق الموصلة لعقد الهدنة مع العرب.

وأخيرا تدخل مجلس الأمن الدولي وأقرّ اقتراحا بريطانيا بأن يوقف العرب واليهود القتال وأن يقبلوا هدنة مدتها أربعة أسابيع يعمل خلالها الوسيط الدولي الكونت فولك برنا دوت على التوفيق بينهم، وعين الوسيط الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق 11/ حزيران 1948م موعدا للبدء، وان على الفريقين أن يمتنعا عن إطلاق النار وعن القيام بأية حركة عسكرية اعتبارا من تلك الساعة وإلى مدة أربعة أسابيع.

وهكذا وقف القتال " استاء العرب من هذا القرار. وأما اليهود فقد تنفسوا الصعداء،وراحوا يرقصون في الشوارع طربا وراح بعضهم يقبل البعض وأذاعت صحفهم نبأ هذه البشرى بأحرف بارزه، ولم يكن فرح القادة قادة إسرائيل بأقل من فرحة الشعب،إذ كانت عليهم أشد ممن مات منهم ما ينوف عن 400 شخص هذا بالإضافة إلى أن من مات منهم جوعا وعطشا، وإلى ما تهدم من منازلهم وما انحط من معنوياتهم ".

خرق اليهود شروط الهدنة بأن هربوا السلاح الذي اشتروه من تشيكوسلوفاكيا وغيرها بالسفن وبه زودوا جيوشهم ومستعمراتهم وجيوشهم وأحيائهم كما عززوا عسكرهم بالمتطوعين ومونوا قطاعهم بالقدس بمقادير من المؤن تفوق الكميات التي أقرتها لجنة الهدنة وانجدهم اليهود الأمريكيون بإعانات مالية لا حد لها.

ومن جهة أخرى بقي العرب ساكنين خامدين متخاذلين وانقلبت الآية فكانت نقمة على العرب ونعمة لليهود. ولهذا استؤنف القتال في 9/ تموز كان الوضع قد تبدل فاحتل اليهود ما احتلوه من مدن وقرى وبقاع واستمروا كذلك إلى أن أعلنت الهدنة الثانية التي بدأت في تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الثاني عشر من تموز1948م. وكان يوم 16 تموز 1948م بالنسبة للقدس يوما جحيما دام القصف ليلا. وكان العرب يقصفون الأحياء اليهودية في المدينة الجديدة بمدافعهم قصفاً شديداً، وراح اليهود بالمقابل يصبون قذائفهم على المدينة القديمة، أصابت مسجد الصخرة والأقصى وقبة المعراج ومواضع أخرى في الحرم، وقيل أن نصيب الحرم من هذه القذائف بلغ في تلك الليلة 55 قنبلة، كما أصابت بعضها كنيسة القيامة والدباغة ودرب الآلام وبعض الأديرة وغيرها.

رغما عن وجود الهدنة فإن اليهود يقصفون بمدافعهم الحرم الشريف أكثر من مرة، قصفوه في 22 آب بقنبلتين واحدة عند البراق والثانية على سطح المسجد الأقصى، وفي 23 من الشهر نفسه سقطت قذيفتان على سطح الصخرة المشرفة، وفي 30 آب أعاد اليهود قصفها ثانية. "[1]، قام اليهود في هذه الفترة باغتيال الوسيط الدولي الكونت برنا دوت لأنه قال الحقيقة.

(وفي العهد الأردني بعثت مصر – بناء على طلب الحكومة الأردنية – أقدر مهندسيها وخبرائها في الإنشاء والآثار والتعمير لفحص ما أصاب مبنى الصخرة والأقصى ما تلف على يد اليهود المجرمين، وقد قدر هؤلاء الخبراء النفقات اللازمة لذلك.00و420 ديناراً أردينا (إسترلينيا)، ولما كانت حالة الحكومة الأردنية المالية لا تساعدها على القيام بالإعمار المطلوب فقد ألفت وفدا لزيارة بعض الأقطار العربية لجمع التبرعات اللازمة لتعمير الحرم القدسي، وقد جمع الوفد نحو 167 ألف دينار أضيف إليها

(1) الدباغ، مصدر سابق ص 301 .

فيما بعد 73 ألف دينار تبرعت به الحكومة العراقية للغرض نفسه وبذلك بلغ مجموع المبالغ المتوفرة نحو.00و240 دينار. ثم تبرع المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بسد العجز إذا لم تكف المبالغ الموجودة لتعمير هذا المسجد تعميرا يتناسب مع جلال قدره. وقد تم إعادة إعمار مسجد الصخرة سنة 1966 م وأصبحت قبتها تتلألأ بغلافها الموزاييك الذهبي).[1]

فكما أورد المؤرخ أكرم زعيتر في كتابه القضية الفلسطينية " إن القدس تقسم إلى قسمين الجديد، ويحتله اليهود ويعتبرونه عاصمتهم مع العلم بأن معظم أحيائها قبل الكارثة كانت عربية ومعظم القرى حولها الملحقة بها عربية و 98٪ من أملاكها وأراضيها للعرب، والقدس القديمة، وهي على صغر مساحتها وضآلة أملاكها، تمتاز بوجود المقدسات الإسلامية والمسيحية فيها، ونخص بالذكر منها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

إن جميع قرارات هيئة الأمم المتحدة حول فلسطين قضت بتدويلها، وحين الفت لجنة التوفيق ورفعت تقريرها إلى هيئة الأمم المتحدة خريف 1949م وضعت فيه اقتراحات تتضمن:

1- تقسيم القدس إلى قسمين أحدهما عربي، والآخر يهودي يكون لكل منهما سلطات إدارية محلية واسعة.
2- تعيين مندوب دولي مهمته كفالة زيارة الأماكن المقدسة والإشراف على تجريد منطقة القدس من السلاح يساعده مجلس مؤلف من ممثلين للسلطات العربة واليهودية.
3- تشكيل محكمة دولية تعينها الجمعية العمومية لهيئة الأمم مع مجلس الأمن.
4- تعضيد المندوب الدولي بقوة حرس دولية.
5- استعانة الإدارتين المحليتين العربية واليهودي بقوة بوليس وطنية."[2]

المطلب الرابع: الوضع الإداري في القدس بعد نكبة فلسطين عام 1948

بات واضحا أن فلسطين بعامة ما عدا الضفة الغربية المعروفة، والقدس بقسمها الغربي قد سقطت في أيدي اليهود وأعلنت الدولة اليهودية على التراب الفلسطيني، وانضمت الضفة الغربية وبقية القدس إلى المملكة الأردنية الهاشمية، وأصبحت القدس إدارياً ضمن هذا النظام، أما بالنسبة إلى قطاع غزة فقد انضوى تحت الحكم المصرية، وبذلك تشر ذمت القضية الفلسطينية إلى عدة أقسام وتباعدت بمفهومها الجغرافي والديموغرافي والسياسي وعمل كل الأعداء على طمس الهوية الفلسطينية، وزوالها عن

(1) المصدر نفسه ص 303.

(2) زعيتر،أكرم، القضية الفلسطينية، دار الجليل للنشر، عمان ط 3 عمان، 1986 / ص271.

الوجود وتحويل الشعب الفلسطيني إلى لاجئين في الشتات وقسم منه بقي في البلاد، وقسم في القطاع والآخر في فلسطين المحتلة.

وحينما استدعي حلمي باشا إلى مصر، وكلفته جامعة الدول العربية تشكيل الحكومة الفلسطينية، أصبحت وظيفة حاكم القدس العسكري شاغرة. حيث صدرت الإرادة الملكية بتعيين قائد معركة القدس المناضل عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة المسئولة عن قطاع القدس، والتي أبلت بلاءً حسناً والذي لو قدر له أن يسير في خطته العسكرية لتغيرت جميع موازين القوى، ولتغير الحال إلى ما هو غير ذلك، ولكن وللأسف الشديد، لم يعطى هذا المجاهد الإمكانيات العسكرية لإدارة دفة المعركة على الوجه المطلوب، فكان ما كان، وكانت النتيجة التي غيّرت وجه التاريخ!.

زفت إليه أنباء بشرى تعيينه حاكماً عسكرياً للقدس بتاريخ 28/ 9/ 1948م، لكنه لم يسر لهذا الخبر ليصبح في هذا الموقع، ذلك كأن هذا الرجل العسكري أيقن بأن هذا أحد أحابيل المؤامرات الإنجليزية التي كان يحيكها كلوب الإنجليزي الذي كان يعمل ليل نهار على تنفيذ الخطة البريطانية الرامية إلى تنفيذ المخططات الصهيونية وسلخ القدس الغربية عن القدس العربية !!!.

المطلب الخامس: تعيين المجلس البلدي للقدس

ظلت القدس أشهراً عديدة بغير مجلس بلدي ورئيس للبلدية، وكان يقوم بأعمال البلدية السيد أنطون صافيه من كبار موظفي البلدية زمن الانتداب، وقد ثبت هذا الموظف في القدس تحت القنابل وقام بواجبة خير قيام. فقد تقرر تعيين رئيس للبلدية.

صدر يوم الاثنين بتاريخ 22/ 11/ 1948م أمراً بتعيين السيد أنور الخطيب التميمي رئيسا للمجلس البلدي، وتم تعيين نخبة معه من شباب القدس المثقفين منهم: يحي حمودة، والدكتور رأفت فارس، والأب عياد، وعبد الله نعواس. [1]

أصبحت القدس الشرقية جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية عام 1950م.

في 13/ 7/ 1957م جرت أول انتخابات بلدية وبدأ اهتمام كبير في توسيع حدود المدينة (الشرقية) لاستيعاب الضغط السكاني على الرغم من هجرة عشرات الألوف من سكان المدينة ولاسيما الأحياء المختلطة التي سقطت تحت الاحتلال الصهيوني في حرب عام 1948م إلى الضفة الشرقية وبعض المدن الأخرى في الضفة الغربية.

(1) عبد الله التل، مصدر سابق، ص 367.

1/ 4/ 1952م تمت الموافقة على المخطط المبين لحدود البلدية بحيث يضم سلوان ورأس العمود والصوانه وأرض السمار والجزء الجنوبي من شعفاط وبذلك أصبحت المساحة الواقعة تحت نفوذ البلدية 6500 دونما يشكل المساحة المبنية منها 3000 دونما.

وفي الخمسينات والستينات أخذ التوسع شمالاً نحو قلنديا وشرقاً نحو أبو ديس والعيزريه بالرغم من العوائق المتمثلة ببناء الجامعة العبرية على جبل سكوبس وكثرة أراضي الأديرة والكنائس.

ناقش المجلس البلدي بتاريخ 22/ 6/ 1958م توسيع حدود البلدية بحيث تشمل منطقة عرضها 500م من كلا جانبي طريق رام الله حتى مطار قلنديا، إلى أمانة القدس عام 1959م وفي الستينات اقترح توسيع حدود البلدية لتصبح 75 كم2 إلا أن حرب 1967م حال دون تنفيذ هذا المشروع.

وبالإجمال فقد نمت القدس الشرقية خلال العهد الأردني باتجاه الطرق الرئيسة شمالاً وشرقاً ونمت الأحياء الراقية في لشيخ جراح وبيت حنينا وشعفاط، فيما تكثف الأحياء الشعبية على طريق عمان القدس، وتركز الوسط التجاري في شارع باب العمود وصلاح الدين.

وصل عدد سكانها إلى 63 ألفا وفق إحصاء 1961م و 300و73 عشية الاحتلال الصهيوني عام 1967م

المطلب السادس: القطاع المحتل في القدس

انسحب البريطانيون في اليوم الخامس عشر من شهر أيار سنة 1948 م وسلمت البلاد إلى اليهود، وتوقفت الحرب العربية الإسرائيلية، وصمتت المدافع على الجبهات، وأصبح الوضع العسكري لصالح اليهود في القدس وغيرها من البلاد.

أعلن رئيس وزراء إسرائيل (دافيد بن غوريون) أن قوانين إسرائيل ستطبق على القدس الغربية، وعيَّن عليها حاكماً يهودياً هو (دوف بن يوسف) كما أن الحكومة الإسرائيلي وهي في هذا الموقف المتفوق عسكرياً،قد رفضت مبدأ التدويل الذي كانت قد نادت به الأمم المتحدة، وتمسكت بالقدس الغربية، وأصبحت بكل مقدراتها تحت سيطرتهم. أما القدس الشرقية أو ما هو داخل السور فقد أصبح هذا القطاع تابعا للنظام الأردني وتحت رعاية، كما أصبحت المدينة خالية نهائياً من اليهود الذين أخرجوا من حارتهم إبّان المعارك الأخيرة مع الجيش العربي، وقد احتج اليهود على الأردن بالنسبة لعدم المحافظة على مقبرتهم الواقعة على جبل الزيتون، فكان رد الحكومة الأردنية بأن هذا الإجراء، يقابله تدنيس حرمة المقبرة الإسلامية في (ماميلا) التي دفن أعداد كبيرة من العلماء والمجاهدين ورجال الدين المسلمين، علاوة على أن الفصل التام أصبح حقيقة واقعة بين القسمين الغربي والشرقي من المدينة، وأصبح البعد الديموغرافي والاقتصادي والسياسي والعسكري متباينا بينهما، ولا يتوصل بينهما إلا بواسطة بوابة(مند لبوم) التي كانت تفتح في السنة مرة واحدة للزيارات وباتفاق دولي، بالنسبة إلى الجامعة العبرية على جبل سكوبس، فقد كانت تصلها الإمدادات بواسطة قوافل متفق على تسييرها

بين الطرفين، وكذلك أغلق حائط البراق من وصول اليهود إليه لأن الحكومة الإسرائيلية رفضت إعادة اللاجئين إلى ديارهم.

كان عدد سكان القدس الغربية عشية انسحاب القوات البريطانية من البلاد حوالي 100ألف، وكان الوضع في هذا لقسم بحاجة إلى بنية تحتية وخدمات كثيرة، ونقص في المياه، حيث قامت إسرائيل بسحب مياه من نهر الأردن، وغذت المدينة بها مما تسبب في توتر الأجواء وأصبحت حرب المياه هي الحافز على لحرب حزيران الجائرة، ومع هذا فقد قامت إسرائيل بفتح العديد من المؤسسات كالمكتبات والمتاحف ومبنى الكنيست ومستشفى هداسا (عين كارم)، ووضعت خطة شاملة للمدينة في سنة 1950م ونقّحت عام 1959م.

المطلب السابع: القطاع الأردني في القدس الشرقية

أصبحت القدس بحكم الواقع الآن تقسم إلى قسمين: القسم الواقع تحت السيطرة الإسرائيلية، والقسم الواقع تحت السيطرة الأردنية.

اتخذت الحكومة الأردنية الإجراءات القانونية لبسط نفوذها على بقية ما تبقى من فلسطين، فصادق مجلس الأعيان الأردني الذي دعا إليه الملك عبد الله في شهر كانون الأول (ديسمبر) 1948م على سلطة الأردن، وقد تم عقد اجتماع في أريحا، وقرر المجتمعون ضم الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ونادوا بالملك عبد الله ملكا على هذه البلاد، حيث وافق البرلمان الأردني رسميا على هذه الخطة في شهر نيسان سنة 1950 م، وأصبحت البلاد تعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية،

"بعدما توقفت الحرب وأبرمت الهدنة بين الطرفين، عمل الأردن بإمكانياته المادية والسياسية على إدارة المدينة والعناية بالأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وتشجيع السياحة والتجارة واحترم الأردن العقارات الوقفية داخل المدينة القديمة و وخارجها، وبذلك فإنه كما قال (شلايفر Schleifer) "مكن النسيج المعماري للمدينة من البقاء"

حيث أن القدس كانت في أمّس الحاجة إلى التطوير، فإن ضغوطاً ماليةً وسياسيةً وحتى جغرافية حالت دون التنفيذ، فكان من أهم الأسباب التي أدت إلى تعطيل هذه الإجراءات، ترحيل عشرات الآلاف من الفلسطينيين في منطقة القدس خلال القتال وبعده، عقّد أيضا مهمة الإعمار والتطوير، ومهما كانت المشكلات السياسية فإن الإدارة الأردنية قد جلبت النظام والنمو الاقتصادي، وازدهرت القدس كمركز سياحي، واستفادت بشكل عام من المساعدات نمو الاستثمارات الخارجية التي جلبتها الحكومة الأردنية، من حوالات أبناء فلسطين العاملين في الدول الخليجية البترولية. "[1]

(1) هدسون، مايكل، تحويل القدس 1917م- 1988م (مقال) [كامل العسلي، القدس في التاريخ] ــ عمان، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 1992 م ص 325.

المبحث الثاني

الحكومة الأردنية وإعمار الأماكن الإسلامية المقدسة

منذ عام 1948م أولت الحكومة الأردنية اهتماماً كبيراً للعناية الأماكن الإسلامية المقدسة. ونتيجة للقصف الإسرائيلي الذي أصاب المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة والذي ألحق أضراراً بالغةً في هذا المسجد.

بعد انتهاء المعارك الضارية في القدس، التي تسببت في حدوث الخراب في أقسام المسجد، فقد تم تجديد شباكين من شبابيك المسجد الأقصى المبارك، وتم صنع باب جديد لمحراب زكريا.

عام 1952 م بادرت الحكومة الأردنية إلى الطلب من الحكومة المصرية انتداب خبراء لفحص مبنى القبة، وشكلت على الفور لجنة من المهندسين لتفحص المبنى، وأكد التقرير ضرورة القيام بإعمال تعمير واسعة في الحرم القدسي خصوصاً فيما يتعلق بترميم القبة نفسها، وتجديد القاشاني والفسيفساء اللذين كانا في حالة سيئة وقدرت النفقات المطلوبة ب420 ألف دينارا.

المطلب الأول: مراحل الإعمار

حقيقة أن النظام الأردني لم يتخل عن الإشراف على المسجد الأقصى المبارك وداخل المدينة المقدسة، إذ لا يمكن فصله منذ عام 1948 لغاية هذه الأيام عن بعضه، وذلك لأن الأماكن المقدسة بقيت تحت تصرف إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس، التي لم يجر عليها فك الإرتباط كبقية الدوائر في الضفة الغربية التي أصبحت تابعة للإدارة المدنية بعد حرب حزيران 1967م باستثناء الأوقاف الإسلامية في الضفة والقدس، وبعد دخول السلطة الوطنية الفلسطينية إلى الضفة الغربية، أصبحت جميع دوائر الأوقاف في الضفة الغربية تابعة لها باستثناء، أوقاف القدس، التي بقيت تحت الإشراف الأردني وما زالت.

كان لهذا الإشراف أثره على بقاء الكادر الوظيفي على وضعه، وبقاء الأماكن المقدسة وما تحتاج إليه من إعمار وترميم تحت تصرف هذه الإدارة. ولكن يجدر بنا أن نستعرض الأحداث التي جرت على أرض الواقع. من الناحيتين العمرانية والتعديات عليها:

شملت مراحل الإعمار ما يلي:

أ - المرحلة الأولى

أولا: قبة الصخرة المشرفة.

عام 1954م أصدر مجلس الوزراء الأردني قانون "إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة"، وتم تشكيل وفد لزيارة الأقطار العربية كالسعودية والكويت والبحرين وقطر،من أجل جمع التبرعات لهذه الغاية.

وضع المهندسون المصريون تقريراً فنيا بالأعمال المطلوبة، فأصدر مجلس الوزراء المصري بتاريخ 25نيسان 1956م قراراً بتأسيس "المكتب المعماري الهندسي لإصلاح وإعمار الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك". وقد أعدت الحكومة المصرية ميزانية لدفع رواتب الفنيين وعمل الدراسات والمخططات اللازمة، وبوشر بالأعمال فورا.

عام 1958م طرحت هذه اللجنة مناقصة عالمية للإعمار المطلوب في الصخرة المشرفة، وأحيل العطاء على المقاول محمد عوض بن لادن، حيث خصص لهذه الغاية 600 ألف دينار أردنيا. وكانت الأعمال المطلوبة ما يلي:

1- وضع قبة من الألمنيوم المذهب بدل القبة القديمة.
2- استبدال الركائز الداخلية بأعمدة رخامية ذات قطعة واحدة جلبت من إيطاليا مع القواعد والتيجان الرخامية المنقوشة بالزخارف الإسلامية.
3- تركيب جسور خشبية مذهبة تصل بين التيجان الرخامية.

تم إنجاز هذه الأعمال، وجرى احتفال رسمي وشعبي كبير يوم الخميس الموافق السادس من شهر آب عام 1964م في ساحات المسجد الأقصى المبارك برعاية ملك المملكة الأردنية الهاشمية الحسين بن طلال، الذي أنعم على المهندسين والفنيين بأوسمة رفيعة تقديراً لأعمالهم. وحضرة جمع غفير من مندوبي الملوك والرؤساء العرب والمسلمين والمدعوين وحشد كبير من المواطنين.

ثانيا: المباشرة في أعمال الإعمار اللازمة في المسجد الأقصى المبارك

1- بوشر العمل في الأعمال الإضافية في صحن قبة الصخرة المشرفة.
2- العمل في قبة السلسلة وإجراء الإصلاحات اللازمة فيها.
3- ترميم ساحات المسجد الأقصى المبارك وترميم الجانب الغربي منه، وإصلاح البلاط والجدران والأبنية.
4- تجديد المتحف الإسلامي الكائن في ساحات المسجد الأقصى المبارك.[1]

ب - المرحلة الثانية

بعدما تم إنجاز المرحلة الأولى للإعمار في المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، تم الإيعاز بالإعداد للمرحلة الثانية من التعمير لبقية المتطلبات داخل هذا المسجد، فأعدت المخططات اللازمة وهي:

(1) العسلي، كامل، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، عمان : منشورات وزارة الشباب الأردنية؛ ص59.

1- الأعمال اللازمة الإضافية لقبة الصخرة المشرفة وما تحتاج إليه، بالإضافة إلى قبة السلسلة.
2- ساحات المسجد الأقصى المبارك بالإضافة إلى تعمير الجانب الغربي للمسجد الأقصى المبارك.
3- تجديد المتحف الإسلامي الواقع في ساحات المسجد الأقصى المبارك.

بعدما تمت الموافقة على هذه الإجراءات، حدث حرب 5حزيران عام 1967م وأوقفت العمل بشكل مؤقت حيث أن الأوقاف كما ذكرت سابقا، بقيت تحت الإدارة الأردنية.

دخلت القدس تحت نير الإحتلال الإسرائيلي، وباشر الإسرائيليون يخططون لنشب أظافرهم المسمومة المحمومة، تجاه كل شيء فلم يسلم منهم موقع أو مكان عبادة أو مسجد أو غير ذلك، بل عملوا بكل ما أوتوا من قوة على تغيير معالمه، من أجل تجبيره لهم، حيث كانت عيونهم على المسجد الأقصى منذ أمد بعيد، فكيف بهم وهما هم اليوم يحتلونه، فقد زادهم هذا إصرارا على تنفيذ مآربهم، بيد أن العناية الإلهية حالت وتحول دائما دون تنفيذ مخططاتهم، فأقبل أحد الموتورين وهو مايكل روهان بتاريخ 21/ 8/ 1969م على جريمته النكراء التي أدت إلى إحراق منبر المسجد الأقصى المبارك الذي أحضره صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) وثبته في هذا المكان بعد الانتصارات التي حققها على الصليبيين عام 1187م كما أن النيران قد أتت على أجزاء أخرى من المسجد بلغت مساحتها حوالي 1500 متراً مربعاً من أصل 4400 متراً مربعاً، أي حوالي ثلث المسجد، وكان من المواقع الهامة التي أتت عليها النيران في هذا الحادث المفجع وهي:

"مسجد عمر ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة، مع الأعمدة والأقواس الحاملة لها والقوس الحاملة لقبة المسجد الأقصى وأعمدة رئيسة تحمل قبة المسجد، إضافة إلى سقوط سقف المسجد، وخراب الزخرفة، وإتلاف أجزاء من القبة الخشبية الداخلية المزخرفة،والمحراب والجدار القبلي والرخام الداخلي وعدد 48 شباكا من الجبص والزجاج الملون والسجاد وسورة الإسراء الفسيفسائية المذهبة والتي تبتديء من فوق المحراب". (1)

طرحت قضية الإحراق أمام مجلس الأمن، فأصدر قرارا بتاريخ 15/ 9/ 1969م أدان فيه إسرائيل على جريمتها.

أمر جلالة الملك الحسين بتفعيل "لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة" وأعدت هذه اللجنة خطة من أربع مراحل، لتنفيذ الأعمال الموكلة إليها، بحيث تشمل المراحل التالية وهي:

(1) وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مؤسسة إحياء التراث الإسلامي، القدس : تراث القدس، (إحراق المسجد الأقصى المبارك) عدد7، 8 / 2002 م، ص 2.

1- إعادة بناء الجزء الذي أتى عليه الحريق وتسبب في هدم أجزاء من المسجد.
2- ترميم الزخارف الداخلية والنوافذ والقبة الخشبية الداخلية.
3- إصلاح القبة الخارجية.
4- صنع منبر جديد بدل المنبر الذي أتت عليه النيران.

باشرت هذه اللجنة وبإشراف المهندسين والفنيين والمهرة من العمال، تنفيذ الأعمال التي أوكلت إليها، وقد سار العمل على خير ما يرام، حيث تقدر تكاليفه حوالي مليونين ونصف المليون دينارا.

تم إنجاز الأعمال المطلوبة، لكن هناك عمل هام بقي في انتظار الإنجاز، ألا وهو صنع المنبر، وعلى غرار منبر الذي أحرق، فقد أوعز إلى الفنان "جمال بدران" بالمباشرة بعمل المطلوب، حيث حصل على قطع من أجزاءه التي بقيت بعد الحريق، واعتمد الصور التي كانت موجودة، وباشر العمل حيث قدرت تكاليفه حوالي المليونين، وشكلت لجنة تضم كل من تركيا وباكستان والأردن ومصر لهذه الغاية. وتم إنجاز المنبر الجديد على غرار المنبر الذي أحرق ،وقد تم إحضاره عام 2008م بصحبة وفد أردني وتم تركيبه مكان المنبر الذي أحرق.

المطلب الثاني: الإصلاحات اللازمة لقبة الصخرة المشرفة

"على الرغم مما تم من إنجازات وترميمات لقبة الصخرة المشرفة والتي تمت في نهاية عام 1964 م، فقد تبين أن هذه القبة بحاجة إلى أعمال جديدة وصيانة هامة، فقد ظهرت فيها بعض الشقوق وتسربت إليها المياه، وبدأت أعمال التلف تدب في القبة وصفائح الرخام الداخلية،قامت لجنة الإعمار بإعداد المخططات اللازمة لهذه الغاية، واستعانت بخبراء من اليونسكو لمعرفة أفضل الطرق لمعالجة القبة الخارجية المصنوعة من الألمنيوم والسقف، حيث استقر الرأي على إجراء الإصلاحات التالية في قبة الصخرة المشرفة وهي:

1- استبدال قبة الألمنيوم الحالية التي ثبت عدم صلاحيتها والاستعاضة عنها بقبة من النحاس الأحمر المطلي باللون الذهبي، والذي هو أقل قابلية للتشقق وأكثر مقاومة للعوامل الجوية.
2- تكسير وإزالة البلاطات الخرسانية من فوق الأروقة دون المس أو التأثير على السقوف الخشبية أسفلها.
3- استبدال الجمالونات الألمنيوم فوق الأروقة، بجمالونات من الحديد المعالج ضد الصدأ أكثر أمانا وثباتا من الألمنيوم أو بجمالونات خشب.
4- إزالة صفائح الألمنيوم من سطح الأروقة وتركيب غطاء جديدي من الرصاص.

5- إزالة بلاطات الرخام المتشققة والتي يعتريها الصدأ عند الفواصل في واجهات المبنى، واستبدالها ببلاطات جديدة ومعالجتها بمادة ضد الصدأ الذي كان سببا أساسيا في تلف التصفيح الرخامي للجدران.
6- تحسين نظام مزاريب الأمطار.
7- معالجة القبة الداخلية الخشبية وإصلاح ما يلزم فيها.
8- معالجة الزخرفة الداخلية في القبة حيث يلزم.
9- تركيب جهاز إطفاء للحريق وجهاز إنذار للحريق في المبنى.

قدرت تكاليف هذا المشروع حوالي 4/ 3 1 مليون ديناراً أردنياً والمدة اللازمة للتنفيذ خمس سنوات.

ففي عام 1987م أحيل عطاء تنفيذ مشروع القبة على شركة Silfe الإيطالية، ووقع معها اتفاقية لتنفيذ الكسوة، القبة بالنحاس المذهب بقيمة مليون وعشرين ألف دولارا. كما أحيل عطاء أجهزة الإنذار وإطفاء الحريق، بالإضافة إلى استبدال الألواح الخارجية لقبة الصخرة المشرفة حيث بوشر بالأعمال من نفس العام.

المطلب الثالث: الأعمال التي جرت في ساحات المسجد الأقصى المبارك.

علاوة على ما تقدم من أعمال ترميم جرت للمسجد الأقصى المبارك ولقبة الصخرة المشرفة في هذه الحقبة، فقد تبعها أعمال إعمار وترميم أخرى لساحات المسجد، وتمت هذه الأعمال بإشراف لجنة الإعمار كما يلي:

1- ترميم قبة السلسلة التي تقع شرقي قبة الصخرة المشرفة، وقد تم تدعيم أساسات أعمدة القبة بالخرسانة وفك البلاط القاشاني القديم الذي كان في حالة سيئة، وتركيب صفائح رصاصية جديدة عن طريق جهاز الإعمار.
2- ترميم سوق القطانين. وهي سوق تاريخية تبدأ من باب القبطانين، من أبواب الحرم القريبة، ويبلغ طوله زهاء مائة متر، وهو محاط بالدكاكين من جانبيه، وقد باشرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ترميم هذا السوق ابتداء من سنة 1973 م ونظفت الأحجار وكحلت وركبت أبواب خشبية للدكاكين.
3- المتحف الإسلامي: أسس هذا المتحف سنة 1923 م في الرباط المنصورية ثم نقل إلى مقره الحالي وهو جامع المغاربة القديم ويحتوي هذا المتحف على مخطوطات نادرة وقطع إسلامية أثرية مختلفة، وخاصة من المواد التي كانت توضع فيه إثر التعمير الذي جرى في

المسجد على مر العصور، وقد عنيت وزارة الأوقاف بتنظيم المتحف في السبعينات، وافتتح المتحف للزوار في شهر آب سنة 1980م.

4- ترميم سبيل قايتباي: سبيل قايتباي من أجمل الآثار الإسلامية في المسجد الأقصى، وقد عمره السلطان المملوكي قايتباي سنة 887هـ وبعد ذلك جدده السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1300هـ، وقد أعد المهندس البريطاني "بير جوين" مخططات لترميم السبيل، ووضع تقريراً بهذا الشأن، وقد جرى إصلاح السبيل بناء على ذلك، واكتمل ترميم هذا المعلم التاريخي في عام تنم1986 م وبلغت نفقات تعميرهِ 15 ألف دينار.

5- ترميم باب الرحمة: باب الرحمة من أبواب المسجد المغلقة من جهة الشرق، وقد تم ترميمه واستُبدلت حجارته القديمة التالفة، وبلغت نفقات الترميم30 ألف دينار.

6- المصاطب والحدائق والمحاريب والطرق الحجرية: قامت لجنة الإعمار بصيانة الحدائق والطرقات والمصاطب وتمت زراعة الأعشاب والأشجار في الحدائق، وبلطت جميع الطرقات في ساحة المسجد ".[1]

المطلب الرابع: إعمار المباني الأثرية في مدينة القدس

من المعلوم أن مدينة القدس من أكثر مدن العالم تحوي أبنية أثرية قديمة، وتمثل حضارات متعاقبة، ويغلب على بنائها الطراز الإسلامي، حافظ على طابعه الأثري عبر عصور متعاقبة، وقد قامت مدرسة الآثار البريطانية بالدراسات اللازمة لهذه الأبنية الأثرية، وبالتعاون مع دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، ووضعت المخططات، حيث أنشئ قسم خاص في إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس، للتعاون مع هذه المدرسة من أجل وضع التصاميم اللازمة، وقدم تقريراً إلى اليونسكو عام 1980م، فاتخذ قرارا اعتبر مدينة القدس مدينة أثرية وهي بحاجة إلى خمسة وعشرين مليون دولارا، من أجل الترميم اللازم للأبنية الأثرية، بوشر العمل في هذه الأبنية الأثرية وكان من ضمن الأعمال التي أنجزت المدرسة الكيلانية والجوهرية، وما زال العمل متواصلا وهذا يعتمد على الإمكانيات المادية المتوفرة.

المطلب الخامس: الوضع السياسي لمدينة القدس في هذه الفترة

لقد أورد الباحث مايكل هدسون في مقاله "تحويل القدس "المبين أدناه، والذي قام بتحرير الطبعة وترجمتها ابن القدس "الدكتور كامل جميل العسلي" المؤرخ والباحث في شؤون القدس في كتابه "القدس في التاريخ " الذي أصدرته عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية. والذي ألجأته ظروف الاحتلال إلى

(1) نفس المصدر ص 66.

مغادرة وطنه والعيش خارجه، لكنه بقي قلبه معلقا في كنوز القدس يدرس ويبحث وينقب عن كل ما تحويه هذه المدينة العريقة من كنوز علمية وفكرية وحضارة عربية وإسلامية، فأصدر العديد من الكتب والدوريات الخاصة بهذه المدينة المقدسة والأوقاف على المسجد الأقصى المبارك والوثائق المقدسية الهامة. لكنه لم يتجاوز المجال السياسي، فيفند الباحث الأوضاع السياسية قائلا:

"أما المشكلات السياسية فقد تمحورت حول الخلافات بين الفلسطينيين والأردنيين. إن القدس كانت قلب الجسم السياسي الفلسطيني ومركزه العصبي، والمجتمع الفلسطيني من أوائل الخمسينات كان أكثر عصرية في التوجه وأحسن تعليماً من المجتمع الأردني الأصغر والأفقر شرقي نهر الأردن، ولم يكن مقبولا، بالنسبة للكثيرين من أهل القدس أن تغدو عمان مركز إصدار القرارات الرئيسية، وفي الفترة التي تلت الحرب مباشرة شكا زعماء القدس من أن المدينة لم تكن تحصل من عمان على ما يكفي من الدعم لإعمارها، واغتيال الملك عبد الله لم يكن من شأنه أن يحسن علاقات عمان بالمدينة. وفي أواخر الخمسينيات شهدت القدس وغيرها من مدن الضفة الغربية مظاهرات احتجاج عديدة، ومع انبعاث الوطنية الفلسطينية في الستينات نشأ تحدٍ جديد، مع أنه مستور، للعلاقة بين جزأي المملكة. عقدت منظمة التحرير الفلسطينية اجتماعها الأول في سنة 1964م في القدس الشرقية، في مبنى على مرمى الحجر من خط الهدنة، وإذا نظرنا إلى الوراء إلى عقدي الحكم الذي يبدو من الواضح أن الضفة الشرقية اختيرت لتسلم معظم موارد الاستثمار والتطوير، فإن نمو منطقة عمان أكبر بكثير دون شك من نمو القدس أو غيرها من مدن الضفة الغربية، وهناك اعتقاد واسع الانتشار بأن السلطات الأردنية كانت تخشى من أن إسرائيل تضرب مرة ثانية عاجلا أو آجلا، وهكذا كان هذا الحافز الأمني لدى السلطات الأردنية، الذي دفعها إعطاء الأولوية إلى الضفة الشرقية.

ومع هذا كان الأردن يغدو أكثر في الوقت نفسه أكثر اندماجاً مع تزايد الروابط الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية بين ضفتي النهر، وقد ساقت الظروف مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى عمان، ومن بينهم بعض أكبر عائلات القدس نفوذا، وسار الملك حسين شوطاً طويلاً لضم زعماء فلسطينيين إلى الحكومة، وتحت قيادة روحي الخطيب، الذي تولى رئاسة بلدية القدس من سنة 1957م – 1967 م، شهدت المدينة إدارة مستقلة وتحسناً في العلاقات مع عمان، وبمجيء سنة 1959م رفع مركز بلدية القدس إلى أمانة، وهو مركز خاص يعادل مركز عمان، وكان الملك ينوي بناء قصر إلى الشمال من المدينة، يكون رمزاً لوجوده هناك، وكان يزور القدس بين الفينة والأخرى، وأسهم التوسع التدريجي في خدمات الحكومة، وإعمار القدس المتزايد على عمان، ساهما جميعا في "بناء الدولة" وعملية الاندماج،

وعشية حرب 1967م كانت القدس العربية والضفة الغربية، قد بلغتا جميع المقاصد العلمية، درجة عالية من الاندماج في الدولة الأردنية. "[1]

هذا هو الواقع السياسي، لهذه المدينة التي مرت عليها عصور وحضارات مختلفة، فكيف بها أن تستقر وعلى الرغم مما وصلت إليه من تقدم في العمران، وتأسيس الدوائر والمؤسسات والتوسع في جميع ميادين الحياة العصرية، إلا أن الأمر لم يطل، بل نزعه ما كان يخشى وهذا ما حدث عندما اجتاحت إسرائيل القدس بكاملها وابتلعت فلسطين من نهرها إلى بحرها، وأصبحت لقمة سائغة في قبضتها، وأخذت تصول وتجول في المنطقة بلا رقيب ولا حسيب تعمل ما يشاء لها من اعتداءات على المقدسات، وانتهاك للحرمات، وبناء للمستوطنات وخنق للقدس وما حولها، وقد تحقق لليهود حلمهم الذي راودهم منذ أمد بعيد في ظل الغياب العربي والسبات الإسلامي، وإن الخطر القادم على القدس بخاصة وفلسطين بعامة سيجر ويلات كثيرة "لا سمح الله" إذا لم تنهض هذه الأمة من سباتها، وأن ما أصاب فلسطين ربما يتوسع إلى الأقطار العربية المجاورة.

المطلب السادس: القدس تستضيف مؤتمر الفلسطينيين عام 1964م وقيام منظمة التحرير الفلسطينية

لم يتوان الفلسطينيون يوماً عن أداء واجبهم أو تنسيهم قضيتهم الأساسية، ولم يتركوا باب الجهاد في سبيل هذه القضية المقدسة، فعقدوا العزم على مواصلة كفاحهم لإعادة حقوقهم المغتصبة، وقد تراءى لهم ذلك بإعادة هيكلة جديدة لهم لمواصلة دربهم الذي سلكوه منذ أمد بعيد ضد هذا العدو المحتل، والذي تسبب في سلب الجزء الأكبر من بلادهم وتهجير أصحابها في أرض الشتات.

ظل هذا الحلم يراودهم علّه يجد له طريقاً يوماً نحو أهدافهم التي يبتغونها، ومن هذا المنطلق فقد تنادى الفلسطينيون إلى قيام تجمع وطني يلم شتات هذا الشعب بجميع أطيافه من أجل استئناف النضال وتم لهم ذلك حيث عقدوا مؤتمراً عاما في القدس.

"بتاريخ 28 مايو 1964م ضم ممثلين عن الفلسطينيين في مختلف تجمعاتهم ضم عدداً من وجهاء الفلسطينيين ونخبة من مثقفيهم، كما ضم رؤساء وأعضاء البلديات والغرف التجارية والصناعية، وقد انتخب في هذا المؤتمر(أحمد الشقيري) رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشكل المؤتمر مجلس للصندوق القومي الفلسطيني واختار رئيساً له، ووضع المؤتمر ميثاقاً فلسطينياً ونظاماً أساسيا

(1)- مايكل هدسون، تحويل القدس (مقال)، كامل العسلي، القدس في التاريخ، مصدر سابق ص 327.

للمنظمة. واعتبر ذلك المؤتمر والمجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي تقريراً، يجتمع دوريا وأصبح بمثابة البرلمان الفلسطيني في المنفى، كما أصبحت اللجنة التنفيذية بمثابة الحكومة الفلسطينية في المنفى.

وتشكل يهيكل تنظيمي لمنظمة التحرير الفلسطينية كما يلي:

1 – مجلس وطني بمثابة برلمان الشعب الفلسطيني.

2- لجنة تنفيذية لقيادة الشعب الفلسطيني وهي بمثابة حكومة فلسطينية.

3-الأجهزة والمؤسسات والدوائر وهي بمثابة وزارات مثل:

أ) الدائرة السياسية بمثابة وزارة الخارجية.

ب) دائرة الإعلام.

ج) دائرة الشؤون التربوية والثقافية.

د) دائرة شؤون الوطن المحتل.

أما أهم المؤسسات فهي:

أ) الهلال الأحمر الفلسطيني

ب) مركز الأبحاث.

ح) مركز التخطيط.

4- جيش التحرير الفلسطيني وهو الجيش النظامي.

5- الصندوق القومي وهو المالية العامة المسؤولة عن الإيرادات والنفقات.

وهكذا ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية إلى الوجود من خلال قرارات مؤتمر القمة العربي ومجلس الجامعة العربية، ولقيت تأييداً من قطاعات متعددة من الشعب الفلسطيني والحكومات العربية. [1]

المطلب السابع: الوقف الإسلامي في القدس

الوقف لغة: هو الحبس يقال: وقف الأرض على المساكين، وفي الصحاح للمساكين، وقفا: حبسها، وقفت الدابة والأرض وكل شيء والدار: حبّسه.

والجمع: وقف، ووقوف. ويجمع على أوقاف، كوقت وأوقات،ووقف يقف وقوفاً دام قائماً، ووقفته أنا وقفاً، فمصدر الفعل اللازم وقوف، ومصدر الفعل المتعدي وقف. "فالوقف: مصدر قولك: وقفت الدابة.

الوقف في الشرع: هو حبس شيء معلوم بصفة معلومة "أي حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة ".[1]

(1) رفيق شاكر ألنتشه وآخرون، مصدر سابق،ص 129..

مشروعية الوقف في الإسلام:

1- الكتاب: قوله تعالى " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"[2]

2- السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " فالصدقة الجارية هي المال الموقوف الذي يجري الانتفاع به ".[3]

3- إجماع الصحابة: قال الشافعي رضي الله عنه " بلغني أن أكثر من ثمانين رجلا من الصحابة من الأنصار وقفّوا، وقال أكثر دور مكة وقفا ".[4]

لهذا فإن الوقف مشروع في الإسلام، ومن أجدر بهذه الوقوف كمكة والمدينة والعالم الإسلامي، فمدينة القدس من أولى المدن التي تشتهر بالوقف، سيما على المسجد الأقصى المبارك وما حوته من أماكن مقدسة، بل أن ارض فلسطين جميعها أرض خراجية، حيث أنها حق للمسلمين، إذ أنها غنمت حرباً أو صلحاً من الكفار. يوجد في فلسطين(2657)عقاراً وقفياً أغلبها في الضفة الغربية، حيث بلغت هذه العقارات 1896 عقاراً منها 681 عقاراً في القدس الشرقية، وبلغت نسبة الإشغال فيها 8و91٪.و 765 عقارا في قطاع غزه. إلا أن المشرع العثماني قد خص في أحد تصنيفاته للأراضي في الدولة العثمانية تلك المصنفة تحت الأراضي الوقفية في القانون الذي صدر في عام 1858م والذي يعرف بقانون الطابو العثماني. الذي صنف الأراضي إلى وقف صحيح وأخرى غير صحيح(الميري)

أنواع الوقف في القدس:

أولا: الوقف الخيري: والذي يقسم إلى ديني محض أو ديني دنيوي.

أ- الديني المحض: كالمساجد.

ب- الديني الدنيوي: جميع الوقوف الخيرية، كالمداس ودور العلم والرباطات والخانات والمستشفيات والمقابر وغيرها.

ثانيا: الوقف الأهلي:

أ- الوقف الطائفي: المقتصر على طائفة معينة كالزوايا.

---

(1) قسم 'حياء التراث الإسلامي، الوقف الإسلامي في فلسطين رقم 3 1984ـم، ص 1. .

(2) آل عمران، آية 92 .

(3) رواه البخاري. .

(4) نيل الأوطار، ج6 ص 127 / 128.

ب- الوقف الذري: أي ما يحبس على ذرية أشخاص، وإذا انقرضت الذرية يعود إلى جهة الوقف المقصودة، كالمسجد الأقصى أو دور الأيتام أو المساجد أو غيرها.

المطلب الثامن: الترتيبات الإدارية للوقف الإسلامي

كان الوقف في بادي الأمر يدار من قبل الواقف نفسه، أو ممن ينصبه للإشراف على الوقف وإداراته مجاناً واحتساباً، أو بأجر وراتب، دون تدخل من الدولة، إلا في الحالات التي يكون الواقفون فيها هم الحكام والولاة.

ولما اتسع الوقف في العهد الأموي، وتطورت الحياة في المجتمعات الإسلامية، استدعى الحاكم إنشاء إدارات وقيام أجهزة خاصة للإشراف عليه.

وفي العهد العباسي كان لإدارة الوقف رئيس يسمى (صدر الوقف) وكانت إدارته تتصف غالبا بالدقة والتنظيم والوضوح، واسهر بحزم ونزاهة على أموال الوقف، واستثمارها في حالات من التأهيل المهني وبعض الحرف والصناعات الخفيفة.

وفي عهد المماليك، العثمانيين، ازداد نطاق الوقف اتساعا، لإقبال السلاطين والولاة على وقف المساجد والمدارس والمكتبات والمستشفيات ونحوها من الأوقاف الخيرية العامة، وتتابعت القوانين الصارمة المنظمة لهذه الأوقاف، والمحددة لأساليب إدارتها والإفادة منها سواء كانت خيرية أو ذرية، ولا تزال كثير منم هذه الأنظمة أو القوانين معمولا بها إلى يومنا هذا في كثير من وزارات الأوقاف في الأقطار الإسلامية.

وعلى العموم تقوم وزارات الأوقاف في الأقطار الإسلامية الآن، برعاية الإراصادات الوقفية عامة وتنميتها واستثمارها، وصرف فوائدها في إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية، وإقامة دور القرآن والإشراف على الدعوة إلى الله، وتحقيق الخدمة الاجتماعية لفئات المحتاجين.

وقد أنشئ العديد من المبرات المهنية لتعليم الفقراء والأرامل والعجزة،وصناعة خفيفة كصناعة السجاد والمفروشات والملابس، أو تعليم أساليب أخرى تضمن لشريحة من المجتمع حياة سعيدة كريمة، تستمد غذاءها من جذور الوقف الخيري في حياة المسلمين.[1]

(وقد اقتبست من مشاركة في "ندوة الأوقاف والتراث في بيت المقدس" بتاريخ 28آب 2004م للدكتور محمد غوشه عميد مؤسسة إحياء التراث الإسلامي بالقدس الشريف والتي جاء فيها على ذكر الأوقاف الذرية في القدس قوله:

عائلة العلمي50 حجة وقف

(1) -منشورات مؤسسة إحياء التراث الإسلامي في القدس، الوقف الإسلامي عبر العصور، ص 38 .

عائلة الحسيني 27 حجة وقف
عائلة الخالدي 25 حجة وقف
عائلة الأنصاري 27 حجة وقف
عائلة قطينة 9 حجج وقف
عائلة النمري15 حجة وقف
عائلة الشهابي 5 حجج وقف

كما أن هناك العديد من الوقوف في القدس الشريف، وقد أوقف الملوك والسلاطين والقادة المسلمون أوقافاً كثيرة في القدس، أي أن هناك 34 حجة وقفية أيوبية، مثل وقفية الخانقاه الصلاحية ووقف البازار الذي أوقفه الملك الأفضل، كما أن هناك 105 وقوفا مملوكيا...، ومما ذكره أنه وجد في سجلات المحاكم الشرعية في القدس بتاريخ 1528م ست حجج وقف باسم الحاج عبد الوهاب بن طعمه وهي أراضي زراعية، كما أن هناك ست حجج وقفية باسم الحاج محمد بن سعيد السعيري بتاريخ 936هـ وفق 1529م) [1]

(إذ أن سجلات المحكمة الشرعية في القدس تكمن في قدمها، فهي أقدم السجلات الشرعية في بلاد الشام، وتبدأ بالسجل آب المؤرخ في سنة 935هـ / 1528م حيث تبدأ سجلات محكمة حلب الشرعية على سبيل المقارنة في سنة 962هـ / 1554م وأقدم سجل شرعي سجلات محكمة دمشق، يبدأ في سنة 991هـ / 1583م ولا يسبق سجلات القدس الشرعية في القدم سوى سجلات محكمة بورصه، في سنة 860هـ / 1489م، وتعد محكمة القدس الشرعية محكمة مركزية في بلاد الشام، فهي تشتمل على حجج شرعية، تتعلق بمدن وقرى تمتد في مختلف أنحاء بلاد الشام ومصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة وشرق الأردن واستانبول وغيرها، ولذلك فإنها تحتضن معلومات هائلة يمكن أن تشكل تاريخاً شاملاً لأكثر من مدينة خلال العهد العثماني)[2]

ومن الجدير بالذكر أن الأماكن الإسلامية في القدس بقيت تحت الإدارة الأردنية حتى هذه اللحظة وهذا ما ساهم في الحفاظ عليها وعدم اندثارها أو السيطرة اليهودية عليها !!.

(1) الدكتور محمد غوشه، عميد مؤسسة إحياء التراث الإسلامي بالقدس الشريف، مشاركة في ندوة الأوقاف والتراث في بيت المقدس بتاريخ 28آب 2004 م.

(2) وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، تراث القدس، سجلات المحكمة الشرعية في القدس، القدس؛ عدد 12 سنة 2002م ص 4.